



العدد ٨٣

ذو القعدة ١٤٣٩ هـ | تموز ٢٠١٨ م

نشرة شهرية مجانية تصدر عن أزهر البقاع

- الصحابة والفتح الإسلامي في لبنان
- وأخيراً مات د.برنارد لويس

إلى أهل السلطة الحاكمين:

اتعِظوا من التأريخ، و كُفّوا عن تكرار أخطاء الماضين !!

خريج أزهر البقاع



أحمد أكرم زيادة



المرتبة الرابعة في لبنان
المرتبة الأولى في البقاع
في الشهادة المتوسطة
للعام الدراسي (٢٠١٧-٢٠١٨)م

أزاهر
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

مجلة شهرية مجانية تصدر عن أزهر البقاع, نهاية كل شهر هجري, وهي مجلة شاملة ومنوعة, تعنى بالقضايا الدينية والثقافية والاجتماعية, ويساهم في كتابتها مجموعة من أصحاب العلم والرأي الحر والفكر المستنير من لبنان والوطن العربي, قال تعالى (قُل هَلْ يَستَوِيْ الذينَ يَعلَمُونَ وَالّذينَ لا يَعلَمون) وبالاستناد إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها, أردنا أن تكون مجلة أزاهر (مدرسة للمتعلم وتذكرة للعالم) من أجل الرقي بالمستوى الثقافي والحضاري لدى القارئ الكريم, آملين أن تشارك المجلة في النهضة العلمية والفكرية لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي والله من وراء القصد

08622727 | 70141360 | marwanmais38@yahoo.com | www.azahermag.com

Designed by : **Saleh Ahmad** | salfree95@gmail.com | 76942706



كلـمة العـــدد 83

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

من الملاحظ أنه عند كل إستحاق رسمي، قد تعود بعض السياسيين وضع عراقيل أمام بعضهم الآخر، و ربما المطالبة بشروط معينة على وفق معاير ذاتية وشخصية غالبا ما تكون بعيدة عن المصلحة العامة، أو مصلحة لبنان أولا! هذا الشعار الذي نسمعهم يرددونه دائما، و نحن نتمنى أن تنتهي هذه الحالة، و نأمل تقديم بديل حضاري يليق بلبنان، يعكس رقي أهله وشعبه ، فهل سيأتي يوم نرى فيه سياسي لبنان و قد تعودوا على ممارسة أساليب جديدة تخدم مصلحة الشعب اللبناني؟ و إن لهم في التأريخ عبرة، بل عبر لو تأملوها و انتفعوا بها لغيروا الواقع، و تخلصنا من الكثير من المظاهر السلبية، التي نأسف على ملازمتها حياتنا اليومية، يا ترى ألا يعرف الكثير منا ماذا حل بدولة الأندلس نتيجة من تقسيمها الى طوائف تقاتل حكامها و استعدوا بالأجنبي واحدهم على الآخر؟ حتى سقطت دولة الأندلس و احتلها الإفرنج و ضاعت حضارة عربية إسلامية كانت من أرقى حضارات الدنيا في ذاك الزمان، إذن هل من المقبول أن نعرف ذلك و لا نتعظ به؟ فلماذا يستمر التشرذم و الإنقسام في لبنان، و الى متى ؟؟ لذا جاء مقال سماحته بعنوان "المعرفة التأريخية عبرة ذات أهمية" حيث أكد فيه على ضرورة العبرة و الإتعاظ بالتأريخ وليس فقط معرفة التأريخ، بل الإستفادة منه، وكالعادة هناك مقالات متنوعة في مواضيع مختلفة، من ذلك مقال د.نادر جمعة بعنوان " الإسلام والتنمية" وفيه يتحدث عن أهمية تعاليم الإسلام في مجال التنمية ، و مقال الأستاذ سليم يوسف عن الصحابة و الفتح الإسلامي للبنان و هو بداية لسلسلة في هذا الموضوع الذي انفرد الأستاذ سليم في الكتابة عنه، أما د. رضوان السيد فقد نشرنا له مقالا بعنوان : (و أخيرا مات د.برنارد لويس)، هذا المستشرق الصهيوني سيء الصيت، و الذي على نحو غير مسبوق، كرس جهده العلمي ، و كل حياته لعداء العرب و المسلمين، و قدم لسياسي و حكام الدول الغربية المقترحات الخبيثة التي يؤدي تطبيقها إلى تفرقة دول العرب و المسلمين إلى دويلات مدن مقسمة على أسس عنصرية وطائفية، و جعلها تتقاتل على نحو أشد من الجاهلية. و في العدد غير ذلك من المقالات الإسلامية والفكرية و في اللغة و الشعر و السياسة، راجين أن تنال اهتمام القراء الكرام ، وإلى لقاء جديد نترككم بحفظ الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسرة التحرير : د.رعد مقبل العبيدي - الشيخ مروان الميس - د.نادر جميل جمعة

محتويات العدد

القول الفصل — 3
أخبار الأزهر — 6
وقفات في وداع رمضان — 8
حديث العيـد — 13
الإسلام والتنمية المستدامة — 17
معجزة في حديث — 19
الصحابة والفتح الإسلامي في لبنان — 22
التربية والأبوة النبوية — 25
مختارات — 30
التحول نحو اليمين والتطرف في أوروبا — 32
المتاجرة بالأقليات — 38
الأزمة السورية و وخزة الضمير العالمي — 41
وَ أخيرا مات د. برنارد لويس — 43
من روائع الشـعر — 47
اللغة الأم واللغة الثانية — 51
هل تتمتع بالتشجيع الفكري — 53
مفاتيح الحوار — 56
كتابة التأريخ — 58
قراءة في كتاب — 63
الإدارة لدى العرب قبل الإسلام — 69
نترككم بحفظ الله — 72



المعرفة التأريخية.. عبرة ذات أهمية



الشيخ خليل الميس
مفتي زحلة وَ البقاع

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علي من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه، وأما بعد، يقال أن العربي بطبعه محب للحكمة، عندما تصفو قريحته ويهدأ باله، والمقصود بالحكمة هو الفهم الصحيح لظواهر الكون وخلقه، وللحياة والغاية منها، والله سبحانه تعالى يقول:(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ)(البقرة ـ آية/269/)،

والملاحظ أن الشعر الذي قيل عنه أنه ديوان العرب قد حفل من قديم بالكثير من الحكمة، وهذا من نِعَم الله تعالى، الذي لإمر ما قدّره اصطفى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد كرّمه الله بالحكمة وبلاغة الخطاب، وهذا ما يوضحه قوله عليه السلام "أدبني ربي فأحسن تأديبي،" فلا عجب أن نجد في الحديث النبوي الشريف ما يؤكد على الحكمة، عندما حدّث بقوله:" الحكمة ضالة المؤمن"والاسلام والعرب صنوان لا ينفصلان، تُظِهر هذا التلازم آيات قرآنية عدة من ذاك قوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنا عَرَبِيّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف ـ آية/2/). وهذه الآية الكريمة تشير إلى عربية القرآن ردا على ادعاء الكفار أن أعجميا كان يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، أمّا عبارة (لعلكم تعقلون) فهي دعوة للتفكر، والنحويون يقولون(لعل) حرف للتوقع في الممكن، أي الترجي من الأمر المحبوب، والإشفاق من الأمر المكروه، وهكذا فهذه الآية واحدة من آيات القرآن الكريم، التي دعت إلى اعتماد العقل في النظر والتقويم إلى ما يرى ويسمع الإنسان، ومما لا خلاف عليه أن من يفكر بعقل هو الحكيم، إذن الحكمة مطلوبة من المسلم، فهي ضالته كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وبعد الآية المذكورة جاء قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هُذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)(سورة يوسف آية/3/)

وسورة يوسف هذه أخبرت الرسول صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه السلام، ومعاناته صنوفا من المحن، وكيد الاخوة، والترويع عند القائه إلى غيابة الجب، ثم محنة الرق، وفقدانه الرعاية الأبوية، وابتلائه بكيد امرأة العزيز، وأخيرا السجن، حتى أنعم الله عليه بالعلم والقدرة و بالتوفيق في تفسير الرؤيا وصدق أقواله فيها، عندها تغيرت حاله، وانكشف عنه الظلم الذي لحق به، وقصة

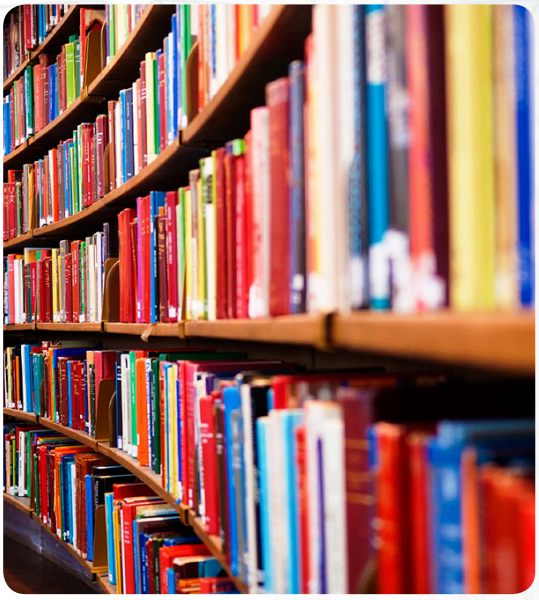

يوسف هذه هي إخبار عن وقائع حدثت في الماضي، فهي تأريخ وقع وانتهى، قال عنه سبحانه وتعالى: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)(يوسف ـ آية102)

ومن الآيات أعلاه يمكن أن نستخلص أهمية التأريخ، ليس في قصة يوسف فحسب، لأن الآيات المذكورة وإن أتت على قصة يوسف، إلاّ أنها جاءت بصيغة مطلقة، والقاعدة الأصولية تنص على (المطلق يجري على اطلاقه، إذا لم يقم دليل التقييد نصا أو دلالة)، وإذا علمنا أن سورة يوسف ختمت بالآية الكريمة (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدى وَرَحْمَة لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (سورةيوسف ـ آية/111/)

إذن على وفق ما تقدم يمكننا القول: أن القرآن الكريم أولى أهمية للتأريخ، وإن في استذكار قصص الغابرين عبرة لأولي الألباب، ومن يعتبر بقصص السابقين هو الحكيم، وهو الذي آتاه الله سبحانه تعالى خيرا كثيرا،

ومن الملاحظ أن المسلم أكثر من يعود إلى التأريخ ليسترشد به، فالمسلم يستشهد بآيات القرآن الكريم، ويستند إلى السيرة النبوية، ويعتمد الأحاديث الشريفة للرسول صلى الله عليه وسلم، وما يستجدُّ في حياة المسلم يقيسه على ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة، فإن كانت هناك علّة مشتركة، يجتهد المسلم في تعدية أحكام الأصل إلى الفرع أي يطبق على المستجدات أحكام القرآن الكريم، أو ما جاء في سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن العربي يقرأ التأريخ، ويطالع أسفاره طلبا للموعظة.

وقد اشتهر عن الخلفاء المسلمين أنهم كانوا مشغوفين بأخبار الماضين، ومما يُذكر أن معاوية بن أبي سفيان، كانت تُقرأ عليه أخبار الأولين ساعة من الليل، ولضعف نظره فقد وظف له قارئا يخّصه بالقراءة كل ليلة، ولكي ينصرف ويتفرغ للقراءة هذه، لم يكن معاوية ينام إلاّ ثلث الليل، فلا غرابة أن نجد في التراث العربي عددا ضخما من كتب التأريخ، وما من شيء إلاّ وقد أرخوا له، ولكن على الرغم من هذا التراث العربي والاهتمام الشديد بالتأريخ، فمما يستدعي التوقف عنده وملاحظته، أن العربي ربما كان أقل الناس اعتبارا بالتأريخ، ولا نخطيء عندما نقول: ان العربي كان وما زال يقرأ التأريخ ليلتمس الحكمة، إلاّ من المؤسف أنه لا يعتبر بالتأريخ، ولا يستفيد من الحكمة التي سعى إلى تعلُّمها، وهذا ما ظهر من قرارات اتخذها حكام عرب، فعلى سبيل المثال، ان الخليفة العباسي هارون الرشيد مُطلّع وقاريء تأريخ الأمويين، وصرّح مرارا أنه لم يعجبه أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قد أوصى لأولاده الأربعة بالخلافة من بعده، ومع ذلك فإن

الخليفة هارون الرشيد هو نفسه كرر ماسبق أن قام به الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وذلك عندما أوصى هارون الرشيد لأولاده الثلاثة على الترتيب، وبعد وفاته استلم أولاده الحكم، فكان ذلك سببا للخلاف، حتى وصل الأمر إلى حرب المأمون لأخيه الأمين، وانقسمت الدولة بين مؤيد وتابع للأمين أو المأمون، وهذا قاتل أخاه الأمين، و من كان معه حتى قُتل الأمين، وكانت هذه الحوادث سببا لضعف دولة بني العباس خصوصا والمسلمين عموما.

ولو تأملنا واقعنا الحالي، لأُصبنا بالعجب، فأغلب الحكام العرب يعيدون ويكررون أخطاء الماضي في سياساتهم التي يعتمدونها لحكم الأقطار العربية.

ونحن نفترض أن حكامنا لا بد وأن قرأوا التأريخ، وعلموا مظاهر القوة والضعف فيه، وخصوصا السياسات التي أدت لتجزئة الوطن العربي وتخلُّفه عن ركب الحضارة، بعد إن كان وطنا واحدا وصانعا لحضارة رائعة، لذا يحق لنا أن نتساءل هل هناك حاكم عربي يجهل أن الأندلس كانت عربية وإسلامية لمدة قرون من الزمان؟ ثم ضاعت وشُرّد أهلها العرب والمسلمون، وامتُحنوا في دينهم الإسلامي، ومن أهم أسباب هذا الإنهيار وهذه الكارثة، انقسام حكام الاندلس إلى طوائف تقاتل بعضها بعضا، وقد دفعتهم شهوة الحكم وحب السيطرة إلى التآمر مع الأفرنج غير العرب وغير المسلمين، وما إن سيطر هؤلاء حتى قلبوا ظهر المجن على من تحالف و إياهم، وانقضوا على الجميع حاكمين ومحكومين، وساموا العرب والمسلمين سوء العذاب.

فإذا كانت هذه وقائع التأريخ، فما بال حكام العرب يكررون اليوم الأخطاء نفسها، وها نحن نجدهم حكاما منقسمين على بعضهم، ويدسّ ويتآمر واحدهم على الآخر، ولا يتورع على الإستنجاد بالأجنبي غير العربي وغير المسلم لحرب أبناء شعبه، لا لشيء إلاَّ للبقاء في السلطة والإستحواذ على مقدرات ما يحكمون من دولة بغضّ النظر عن وصفها بالمملكة أو الإمارة أو الجمهورية أو غيرها من الأوصاف.

وها هي النتائج وطن عربي مقسّم يعاني الفقر والجوع، وتبدد ثرواته لتحقيق مآرب الحكام، وقد صارت الحرب، بل الحروب سمة الحياة اليومية، فالقتل والتشريد والهجرة والنزوح هي أهم مظاهر الواقع العربي الحالي، و لتكفينا الإشارة نذكر بما جاء به القرآن الكريم بقوله تعالى: (ما لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَة وَلاَ كَبِيرَة إِلاَّ أَحْصَاهَا) (سورة الكهف - آية/49/).

لذا نستشهد بالإشارة إلى قوله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(سورة الجمعة - آية/5/) والحر تكفيه الإشارة كما تقول العرب، ونختم بقول شاعرنا العربي الذي قال:

من لم تُفده عبرا أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد!!



أخبار الأزهر

نجاح

بفضل الله تعالى وبعونه ، وبإشراف سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس، وبجهد إدارة و مدرسي و مدرسات أزهر البقاع، حقق طلاب الأزهر نجاحا بنسبة 100% في الشهادة المتوسطة، وقد نال (6) طلاب درجة جيد جداً، و(14) منهم حصلوا على درجة جيد، و في علوم الحياة حقق الطلاب نجاحا بنسبة 100% ، وقد نال (4) منهم درجة جيد جداً، و(3) طلاب حصلوا على درجة جيد، أما في الآداب والإنسانيات فقد كانت نسبة النجاح 100% أيضا، و ننتهز هذه المناسبة لنهدي الطلاب و أهلهم أجمل التبريكات، راجين للجميع المزيد من النجاح و التوفيق بإذن الله.

زيارة

الأستاذ كمال الدين العفش، وبصحبته كل من د. رعد مقبل العبيدي ، ود.نادر جمعة ، و الشيخ مروان الميس، من أسرة تحرير مجلة أزاهر، قاموا جميعاً بزيارة مدير عام وزارة الثقافة الدكتور علي الصمد في مكتبه بالوزارة، وقد جرى الحديث عن الشؤون الثقافية التي تهتم الوزارة بها ، حيث قدم د.علي الصمد شرحاً وافياً لما تقوم به وزارة الثقافة من جهود لإعمام الثقافة و نشرها في لبنان، و تطرق إلى ما تقدمه الوزارة من مساعدات في هذا المجال، و عرض تقديم التعاون المشترك بين مؤسسة أزهر البقاع و وزارة الثقافة خدمة للعلم والمعرفة و نشر الثقافة. و في ختام الزيارة قدمت الدعوة للدكتور علي الصمد لزيارة أزهر البقاع، فقبلها بالشكر و التقدير و وعد بتلبية الزيارة في أقرب فرصة.

زيارة

الأستاذ كمال الدين العفش، وبصحبته كل من د. رعد مقبل العبيدي ، ود.نادر جمعة ، و الشيخ مروان الميس، من أسرة تحرير مجلة أزاهر، قاموا جميعاً بزيارة الملحق الثقافي في السفارة التركية، وتم التباحث في كيفية التعاون في المجالات الثقافية و العلمية بين الملحقية الثقافية التركية و مؤسسة أزهر البقاع ، و قد أبدى الملحق الثقافي مشكوراً استعداد الملحقية الثقافية دعم مشاريع ثقافية وعلمية مشتركة، و في ختام الزيارة قدمت الدعوة للملحق الثقافي التركي لزيارة أزهر البقاع، فقبلها بالشكر و التقدير و وعد بتلبية الزيارة في أقرب فرصة.



المتفوقون في مسيرة أزهر البقاع

الرقم	الاسم	الشهادة	العام الدراسي	المرتبة
1	شعاع اللويس	آداب وإنسانيات	2005	الثانية في البقاع
2	أسماء عامر	آداب وإنسانيات	2006	الثانية في لبنان والأولى في البقاع
3	ميمونة أحمد	آداب وإنسانيات	2007	الثالثة في البقاع
4	شيماء شرقية	آداب وإنسانيات	2007	الثالثة في البقاع
5	ياسمين الملط	آداب وإنسانيات	2007	الخامسة في البقاع
6	نسيبة شحادة	آداب وإنسانيات	2007	السادسة في البقاع
7	فاطمة ياسين	آداب وإنسانيات	2009	الخامسة في البقاع
8	آلاء الجيلاني	آداب وإنسانيات	2009	العاشرة في البقاع
9	أنس الجيلاني	آداب وإنسانيات	2011	الأول في البقاع
10	علا أحمد الحاج خليل	آداب وإنسانيات	2012	الثانية في البقاع
11	أحمد أكرم زيادة	الشهادة المتوسطة	2018	الرابع في لبنان والأول في البقاع



وقفات في وداع رمضان

د. علي أبو غنيم
كاتب لبناني

ها نَحن قد ودّعنا رمضانَ المبارك بنَهارِه الجميل ولياليه العطرة، ها نَحن نُودِّع شَهْرَ القرآن والتَّقْوى والصَّبْر والرحمة والمغفرة والعتق من النار... بالأمس كنا نقول مرحبا بك يا رمضان، مرحبا بك يا شهر القرآن، وها نحن نقول له: السلام عليك يا شهرنا الكريم، السلام عليك يا شهر رمضان، السلام عليك يا شهر الصيام، والقيام، وتلاوة القرآن... السلام عليك يا شهرَ التَّجاوز والغُفْران، السلام عليك يا شهر البركة والإحسان، السلام عليك يا شهرَ الأمان، كنت للعاصين حبسا، وللمتقين أنسا، السلام عليك يا شهر الصيام والتَّهَجُّد، السلام عليك يا شهر التراويح، السلام عليك يا شهر الأنوار والمصابيح، فيا ليت شعري، هل تعود أيامُك أو لا تعود؟ وهل إذا عادت أيامُك، فسنكون في الوجود، ونتنافس أهلَ الركوع والسجود، أو سنكون قد انطبقت علينا اللُّحود؟

فيا أسفا على رحيلك يا رمضان، فيا شهرَنا، غير مُودَّع ودَّعناك، وغير مقلي فارقناك، كان نَهارك صدقة وصياما، وليلك قِراءَة وقياما، فعليك منا تَحية وسلاما، أتراك تعود بعدها علينا، أم يدركنا المنون، فلا تؤول إلينا؟ مصابيحنا فيك مشهورة، ومساجدنا منك معمورة، فالآن تُطْفأ المصابيحُ، وتنقطع التراويح، ونرجع إلى العادة، ونفارق شهر العبادة.

والله، حقٌّ على كل واحد منا أن يبكيَ عليه، وكيف لا يَبكي المؤمنُ رمضانَ، وفيه تفتح أبوابُ الجنان؟ وكيف لا يبكي المذنب ذَهابه، وفيه تغلق أبواب النيران؟ كيف لا يبكي على وقتٍ تُسَلْسَل فيه الشياطين، فيا لوعةَ الخاشعين على فُقدانه، ويا حرقة المتقين على ذَهابه.

أورد الحافظ ابن رجب رحمه الله عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من رمضان: [[يا ليت شعري مَن المقبول فنهنيه، ومَن المحروم فنعزيه]... نعم والله، يا ليت شعري، مَن المقبولُ منا فنُهَنِّئه بحسن عمله، ومن المطرود منا، فنعزيه بسوء عمله.

أيها المقبولون، هنيئا لكم، وأيُّها المردودون، جبر الله مُصيبَتكم، ماذا فات مَن فاته خيرُ رمضان؟ وأي شيء أدرك مَن أدركه فيه الحرمان؟ كم بين مَن حظُّه فيه القبول والغفران، ومَن حظُّه فيه الخيبة والخسران؟ متى يصلح من لم يصلح في رمضان؟ ومتى يَتَّعِظ ويَستفيد ويتغير ويغير من حياته مَن لَم يفعل ذلك في رمضان؟ إنَّه بحقٍّ مَدرسة للتغيير،

نغير فيه من أعمالنا وسُلُوكِنا وعاداتنا وأخلاقنا المخالفة لشرع الله - جل [1]وعلا -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: 11].

ونَحن نودِّع رمضانَ، تعالَ معنا؛ لنقفَ وقفاتٍ تنفعنا في الدنيا والآخرة، فالسعيدُ منا مَن ترك الدنيا قبل أن تتركه، وعمر قبره قبل أن يدخله، وأرضى رَبَّه قبل أن يلقاه.

الوقفة الأولى:

تذكر رحيلك من الدنيا برحيل رمضان

تذكر - أيها الصائم - وأنت تودع شهرك سُرعةَ مُرور الأيام، وانقضاء الأعوام، فإنَّ في مُرورها وسُرعتها عبرة للمعتبرين، وعِظَة للمتعظين؛ قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [النور: 44]، فيا مَن ستودع رمضان، تَذَكَّر أنَّك ستودع الدُّنيا، فمَاذا قَدَّمْتَ لله؟ هل أنت مُستَعِد للقائه؟ إنَّ مَن عزم على سَفر، تَزَوَّد لسفره، وأعدَّ العدة، فهل أعْدَدْت زادا لسفر الآخرة؟ فعجبا لمن أعد للسفر القريب، ولم يعد للسفر البعيد؛ قال رجل للنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أي المؤمنين أفضل؟ قال: ((أحسنهم خلقا))، قال: فأيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: ((أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم لما بعده استعدادا، أولئك الأكياس...).

(وقال الدقاق رحمه الله تعالى: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة)[2].

دخل رجلٌ على أبي ذر، فجعل يُقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر، أين متاعكم؟ قال: إنَّ لنا بيتا نوجه إليه صالِحَ مَتاعنا، قال: إنَّه لا بُدَّ لك من متاع ما دمت ها هنا، قال: "إنَّ صَاحِبَ المنزل لا يدعنا فيه"، فتأمَّل - أخي - في هذا الفقه النبيه؛ إذ قال أبو ذر: "إن صاحبَ المنزل لا يدعنا فيه"،[3] فالمنزل للدنيا، وصاحبها هو الله، وقد قال الله - تعالى -: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر: 39].

هذا رجل من الرجال المستعدين للرحيل، هذا الرجل هو عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - في يومٍ من الأيام صَلَّى بالناس العيد إماما، وبعد الصلاة مرَّ على مَقبرة، فنزل عن بغلته - هذا موكبه - وعنده بعضُ أصحابه، فقال لمن عنده: انتظروا، فذهب إلى المقبرة، وأخذ ينظر إلى القبور، وهو يقول: أيها الموت، ماذا فعلت بالأحبة؟ أيُّها الموت - يكلمهم - ماذا صنعت بهم؟ فلم يُجِبه أحد، ثم خرَّ على ركبتيه وهو يبكي ويردد شعرا، فيقول:

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا...فَأَيْنَ الْمُعَظَّمُ وَالْمُحْتَقَرْ
وَأَيْنَ الْمُذِلُّ بِسُلْطَانِهِ...وَأَيْنَ الْمُزَكِّي إِذَا مَا افْتَخَرْ
تَسَاوَوْا جَمِيعا فَمَا مُخْبِرٌ...وَمَاتُوا جَمِيعا وَمَاتَ الْخَبَرْ
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَى
...فَتَمْحَئُو مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّوَرْ



فَيَا سَائِلا عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا...أَمَا لَكَ فِيمَا مَضَى مُعْتَبَرْ

فإذا به يبكي بكاء مرا، حتى اجتمع الناس حوله، حتى هدأ - رحمه الله.

إنَّها القبور، إنَّه منزلك يا أخي الكريم، مُرَّ عليه يوما من الأيام وتفحصه، هل تَحمل معك أثاثا، أو يدخل معك فيه أحد؟ بعد أيام ولعلَّه بعد لحظات سوف تسكُنه وأنت لا تَدري، غَفلة وأي غفلة.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: 185]، القضية أكبرُ من هذا، لو كان موتا، لكان هَيِّنا؛ يقول الشاعر:

فَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيِّ

وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيِّ

فاغتنم أيام عمرك قبل فواتِ الأوان ما دمتَ في زمن المهلة؛ قال عمر بن عبدالعزيز: "إنَّ الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل أنت فيهما"،[4] وقال ابن مسعود -رضي الله عنه: "ما ندمت على شيء ندمي على يومٍ غَرَبت شمسُه، نَقَصَ فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي".[5]

الوقفة الثانية:

احذر - أخي - أنْ تكونَ مثل بلعم بن باعوراء

كان لسيدنا موسى - عليه السَّلام - صاحب من المقربين إليه، يُسَمَّى "بلعم بن باعوراء" عالم من علماء بني إسرائيل، وكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، لا يَسْأَلُ اللهَ شَيْئا إلاَّ أعْطَاهُ إيَّاهُ، بلغ من ثقةِ موسى عليه السلام فيه أنه قال له: يا بلعم، اذهب إلى أهلِ مدين، فبلِّغهم رسالاتِ الله، فلما ذهب بلعم ووقف بينهم خطيبا ومرشدا، قال له أهلُ مدين: كم يُعطيك موسى من الأجر على تبليغ هذا الكلام؟ فقال بلعم: إنَّما أبلغه ابتغاءَ مرضاة الله، لا أتَقَاضى على ذلك أجرا، فساوموه وجعلوا له مقدارا من الذهب والفضة، وعندئذٍ فَكَّرَ الرجلُ قليلا، وبعد ذلك عاد إليهم، وترك نبيَّ الله موسى، وانقلب على عَقِبَيْه، وانتظره موسى؛ ليعودَ إليه، ولكنه لم يعُد إلى موسى، فقد أكلته الدنيا، وباع آخرته بدنياه.

وعندئذٍ قَصَّ الله - عزَّ وجلَّ - قِصَّتَه على نبينا مُحمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وحذَّرنا من أن نكونَ مثله، فبعد أن ذاق حلاوةَ الإيمان، وآتاه الله آياته، انقلب على عقبيه، واشترى الضلالةَ بالهدى والعذابَ بالمغفرة، وانسلخ من آياتِ الله، كما تنسلخ الحية من جلدها، فقال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ

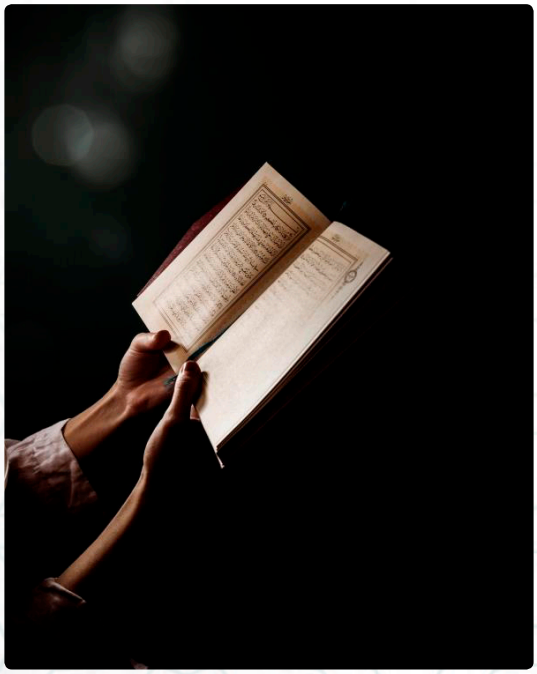

مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف: 175 - 176].

وهذه التحذيرات القرآنية تنطبق على مَن ذاق حلاوةَ طاعة الله - تعالى - في رمضان، فحافظ فيه على الواجبات، وترك فيه المحرمات، حتى إذا انقضى الشهرُ المبارك، انسلخ من آياتِ الله، ونقض غزله من بعد قُوَّة أنكاثا.

أيها المسلم، إنَّ كثيرا من المسلمين يكونون في رمضان من الذين هم على صلاتِهم يُحافظون، فإذا انقضى رمضانُ، أضاعوا الصَّلاةَ، واتبعوا الشهوات، وكثير من المسلمين يَجتنبون في رمضان مُشاهدةَ المحرمات، وسَماع الأغاني، فإذا انقضى رمضان، عادوا إلى ما كانوا عليه من الباطل، وهؤلاء يُخْشَى عليهم أن يُختم لهم بالسيئات، أعاذنا الله وإياكم.

فيا مَن صام لسانُه في رمضان عن الغِيبة والنَّميمة والكَذِب، واصلْ مَسيرتَكَ، وجدَّ في الطلب، ويا من صامت عينُه في رمضان عن النظر المحرم، غضَّ طرفَك ما بقيت، يورثِ الله قلبَك حلاوةَ الإيمان ما حييت، ويا من صامت أذنه في رمضان عن سماع ما يحرم من القول، وما يُستقذر من سماع غيبة، أو نميمة، أو غناء، أو لهو، اتَّقِ اللهَ ولا تعد، اتَّقِ الله، ولا تعُد، ويا من صام بطنه في رمضان عن الطعام، وعن أكْلِ الحرام، اتَّقِ الله في صيامك، ولا تذهب أجرك بذنبك، وإياك ثم إياك من أكلِ الربا، فإن آكله مُحارِب لله ولرسوله، فهل تطيق ذلك؟ ولقد ذَمَّ السلفُ هذا الصنف من الناس، وهذا النوع من الأجناس، قيل لبشر: إنَّ قوما يَجتهدون ويتعبدون في رمضان، فقال: "بئس القوم الذين لا يعرفون اللهَ إلاَّ في رمضان، إن الصالح يجتهد ويتعبد السَّنَةَ كلها".

وعن علقمة قال: قلت لعائشة - رضي الله عنها -: "هل كان رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يَختص شيئا من الأيام؟ قالت: لا، بل كان عمله ديمة"؛ البخاري (1987) ومسلم.

الوقفة الثالثة:

اللهَ اللهَ بشباب المسلمين

الغَيْرَة على المحارم من سِمَات المؤمنين، وكلما نَقَصَ الإيمانُ في قلب العبد، نَقَصَتْ وضَعُفت غَيْرتُه، وإذا ذهبت الغَيْرة بالكلية، صار ديوثا، والدَّيُّوث هو الذي يرضى الخبثَ في أهله؛ ولذا استحَقَّ هذا الديوث أنْ يُحْرَم دخولَ الجنة؛ يقول - عليه الصلاة والسلام -: ((لا يدخل الجنة ديوث))؛ [رواه أحمد والنسائي].

ولا ندري أيُّها الأحبة، بماذا نفسر خروجَ النساء سافراتٍ مُتبَرِّجاتٍ في الأسواق والْمُجَمَّعات التِّجارية والأماكن العامة، هل يدُلُّ هذا على وجود غيرة عند الرجال، أو يدل على عكس ذلك؟

أيُّ دينٍ هذا؟ وأيُّ شرع هذا؟ وأيّ إسلامٍ يدَّعون هذا؟ ألَم يقل نبينا - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((أيما امرأة استعطرت، فمَرَّت على القوم؛ ليجِدُوا ريحَها، فهي زانية))؛ أخرجه أحمد.

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: ألاَ تغارون؟ ألاَ تستحيون؟ فإنه بلغني أنَّ نساءكم يزاحِمْنَ العلوج - أي الأجانب - رَحِمَ اللهُ الخليفةَ الراشد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ليس الأمر أمر مُزاحمة الآن، بل تعدى ذلك بكثير... فأين غيرة المسلم على أهل بيته؟ فيا مَن تسمح لأهل بيتك بالخروج مُتبرجات، اتَّقِ الله - تعالى - احفظ نفسَك من الدياثة، واحفظ

نساءَك من الفتنة والافتنان قبل أن يحل بنا ما حَلَّ بغيرنا من المصائب.

الوقفة الرابعة:

تذكروا الأيتام، يوم العيد

أقول: وأنتم تشترون لأولادِكم وبناتكم ملابسَ العيد، وحلويات العيد، تَذَكَّروا ذلكم الطفلَ اليتيم، الذي ما وجد والدا يشتري له ملابسَ العيد، ويبارك له بالعيد، ويُقبِّله، ويَمسح على رأسه، قُتل أبوه في جُرْح من جِرَاح هذه الأمة، وتذكروا تلكم الطِّفلة الصغيرة، حينما ترى بنات جيرانها يرتدين الجديد، وهي يتيمة الأب، إنَّها تخاطب فيكم مشاعِرَكم، وأحاسيسكم، إنَّها تقول لكم: أنا طفلة صغيرة، ومن حقي أنْ أفرحَ بهذا العيد، نعم، مِن حقي أن أرتدي ثوبا حسنا لائقا بيوم العيد، من حقي أنْ أجِدَ الحنان والعطف، أريد قُبلة من والدي، ومَسْحَة حانية على رأسي، أريد حلوى، ولكن السؤال المرَّ الذي لم أجد له جوابا حتى الآن هو: أين والدي؟ أين والدي؟ أين والدي؟!! فيا أخي، ويا أختي، قَدِّموا لأنفسِكم، واجعلوا فرحةَ هذا العيد المبارك تعُمُّ أرجاءَ بلادنا وبيوتنا. أسألُ اللهَ العَلِيَّ القدير أنْ يتقبلنا بقَبول حَسن، وأنْ يُصْلِحَ قلوبَنا وأعمالنا، وأنْ يُعيدَ رمضان علينا باليمن والخير والبركات، إنَّه سَميع مُجيب، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبينا مُحمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[1]- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (5/ 327).

[2]- شعاع من المحراب (5/ 27).

[3]- شعب الإيمان (13/ 192).

[4]- فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (3/ 609، بترقيم الشاملة آليا).





مقالات لا تنسى
حـديـث العيـد



الشيخ علي الطنطاوي

أرأيتم الجيش يوم العرض؟ حيثُ يَمرُّ الجنود متتابعين متشابِهين، مشيتُهم واحدة، ولبستُهم واحدة، لا يَمتاز فرْدٌ منهم عن فرْدٍ، ثُمَّ يأتِي ضابطٌ أو رئيس، يَختال في مشيته، ويُزْهِي بأوْسِمَته، فينتبه النَّاس عليه، وتنصبّ الأنظار عليه؟ كذلك الأيام يا إخوان؛ إنَّها تَمُرُّ متتابعة متشابِهة، لا يكادُ يَختلِف يوم منها عن يوم، ثُمَّ يأتي العيدُ فتراه يوما ليس كالأيام، وترى نهاره أجمل، وتحس المتعة به أطول، وتبصر شمسَه أضوَأ، وتَجِدُ ليلَه أهنأ، وما اختلفتْ في الحقيقة الأيَّام في ذاتِها، ولكن اختلف نظَرُنا إليها، نسينا في العيد متاعِبَنا فاستَرَحْنا، وأبعدنا عنَّا آلامَنا فهنِئْنا، وابتسمْنا للنَّاس وللحياة فابتسمتْ لنا الحياة والنَّاس...

كنَّا كالمسافر يَجتاز بالدنيا مسرعا، فيُبْصِر الدُّور والمساكن، وكلَّ ما على الطريق، لكن لا يستوعِبُه... فإذا تَمَهَّلْنَا، رأَيْنا جَمالها، واستمْتَعْنا بِحُسْنِها. وما الحياة إلا سفرٌ، وما نحن إلا ركبُ الحياة، ولكنَّنا نغمِضُ عيونَنا عن جَمال الرَّوْضِ، وبَهاء الينبوع، وفتنة الوادي، ولا ننظُر إلا إلى الغاية.. والغاية المال، فنَحْنُ أبدا نركُض وراء المال، نُفِيقُ فنُسْرِع إلى الديوان أو إلى السوق نفتِّش عن المال، أمَّا النَّفس فلا نخلو بها، أمَّا الطبيعية فلا ننظر إليها، ثم إنا نقطع أجْمل مراحل الطريق، وهي مرحلة السحر من كلِّ يوم ونحن نيام.

ويوم العيد هو اليوم الذي ننسى فيه المال ساعات معدودات؛ لنُفَتِّش عن الجمال، فلذلك كان هذا اليوم عيدين، ولو فعلنا ذلك كل يوم لكانت أيامُنا كلُّها أعيادا. والأعياد إمَّا أن تكون أعيادا للدين؛ لذكريات دينية، تتصل بالعقيدة، وتنبثق عن الإيمان، وتكون ذكرا وعبادة، يتوجَّه فيه الناس إلى ربِّهم، ويُقيمون شعائرهم في معابدهم، ويتبعون فيه أوضاعا وأحوالا، أمرهم بها دينهم، أو حسبوا أنه أمرهم بها، وأكثر أعياد الناس أو كلها، إنَّما كانت من الأعياد الدينية، سواء في ذلك الأمة التي تدين دين الحق، والأمم التي تدين أديان الباطل. وإما أن تكون أعيادا وطنيَّة، وهي ذكريات أحداث جسام كان لها في حياة الأمة أثر، أو معارك مظفرة، أو أعمال لهذه الأمة باهرة، كأعياد الاستِقْلال، وأعياد إقامة الدول. وأعياد للفن

والرياضة يحتشد لها الناس، ويتبارى فيها أرباب اللُّسُن والفصاحة وأصحاب القوَّة والبراعة. وربَّما صحب ذلك بيع وشراء وربح وتجارة، كأعياد الأولمبياد عند اليونان، وسوق عكاظ عند العرب. وأعياد رجال عظام يجتمع الناس لإحياء ذكراهم، وتلاوة سِيَرِهم، وزيارة بقاياهم وآثارهم، ولكلِّ أمَّة من ذلك أيَّام غُرٌّ مُشهَّرات. وأعياد هي مواسم للطبيعة، كأعياد الربيع في كلِّ بلاد الغرب، حيثُ تلبَسُ المُدُن حُلَّة من الورد، وتُعْرَض فيها مواكب الزهر، قد جَمعت في هذه المواكب زهرات الحقول، زهرات البيوت والقصور، وربَّما فرشوا الشَّارع كلَّه ببساط من الفُلِّ والزنبق والياسمين والنسرين، مزخرف منقوش، ومن ذلك يوم النيروز أيَّام بني العباس، وعيد شمِّ النسيم في مصر، وقد كانت بلدان الشام تُعْنَى في القرن الماضي بمثل هذا العيد، فتبتغي فيه المتع المباحات والمسرات، من غير أن تكشف العورات، ولا أن تأتي المحرمات.

وأعياد اللهو واللعب، كأيام المساخر (الكرنفال). والإفرنج يمزجون هذه الأعياد كلها، مزيجا عجيبا، فلا يخلو عيد الدين كيوم مولد المسيح عليه السلام من أن يبدأ بالكنيسة، وينتهي في الملهى، ولا يَخلو عيد الوطن من مظاهر الدين، وكلُّ شيء عندهم يدخل فيه الدين، حفلات تتويج ملكة الإنجليز تكون في الكنيسة، وتتمُّ على يد الأسقف الأكبر، وحفلة الربيع يباركها الخوري، وكل شيء لا بدَّ له من هذه البركة، حتَّى إنزال السفينة الجديدة إلى البحر، أو حفلة توزيع الشهادات في أوكسفورد.

هذه هي أعياد الناس، فما هو مكان عيدنا من هذه الأعياد؟ إنَّ لنا في الإسلام عيدَيْنِ، لا ثالثَ لَهما، وإن لم يكن ما يَمنع من الاحتفال بذكريات الهدى والمجد، احتِفالا من البدع والمحرمات، ومن تلاوة هذه الأكاذيب التي اشتملت عليها الموالد، وبيوم الهجرة وبيوم بدر، على أن لا تعد دينيّا من الأعياد؛ لأنَّ الدين لم يشرع لنا إلا هذين العيدين: عيد الفطر، وعيد الأضحى، هذا احتفال ببداية نزول القرآن وإكمال الصيام، وذاك احتفاء باختتام الوحي، وإتمام الدين. وأعيادنا لله أوَّلا؛ لأنها أعياد عبادة وتبتُّل، وتوجُّه إلى الله بالشكر والحمد، والطلب والرجاء. وهي للوطن، (ووطن المسلم كلُّ أرضٍ تعلو فيها كلمة الله وتحكم شريعته)؛ لأنَّها ذكرى أعظم حادث في تأريخ البشرية كلِّها: نزول القرآن في ليلة القدر من رمضان، وتَمامه في حجَّة الوداع من ذي الحجة، وإذا كانت الأمم تحتفل بيوم الدستور، وتجعله عيدا، فإن يوم نزول التشريع الإلهي الذي أنشأ حضارة تفيَّأت ظلالها الأمم كلُّها، حقيقٌ أن يكون عيدا إنسانيّا، يَحتفل به كل من استفاد من حضارة القرآن.

وهي من أعياد الرجال؛ لأنَّها ذِكْرَى أعظم رجل مسَّت قدمه ظهر هذه الأرض: محمد صلى الله عليه وسلم. مُحمَّد الذي جاء بالصيام ليعلِّم الأغنياء بهذا الجوع الاختياري، أنَّ في الدنيا من يجوع جوعا اضطِراريا، ولولا هذا الصيام ما كان يتصوَّر الأغنياء كيف يكون الجوع، الذي قرَّر المساواة في رمضان حتَّى صار الغني الذي يَملك الملايين يشتهي كسرة الخبز

وقطرة الماء، كما يشتهيها الفقير المسكين.

والذي قرَّر المساواة مرَّة ثانية، حين جعل من له من كنوز الأموال، يقف مع السائل الذي لا يجد عشاء ليلة، وهو يلبس لباسا مثل لباسه، ويقف من عرفة موقفا مثل موقفه، وينام على الأرض في المزدلفة مثل منامه، ويرمي الجمار في منى وسط الزحمة مثل رميه، وهنالك في ذا الموقف الأكبر الذي لا تعرف البشرية في كلِّ عصورها نظيرا له، وقف محمد صلى الله عليه وسلم يقرر الحرية الشخصية، وحريَّة الرأي، وحريَّة المسكن، ويعلن المساواة بين الناس، فلا امتياز لجنس على جنس، ولا لون على لون، ولا أسرة على أسرة، كما يمتاز الناس في أميركا في القرن العشرين، وفي جنوب إفريقية، وإنَّما يتفاضلون بالمزايا الشخصية: بالإيمان والعلم والتقى والأخلاق.

لقد قرَّر ذلك في خطبته التَّاريخية الخالدة، في حجة الوداع، قبل أن تعلنه إنجلترا، وقبل الثورة الفرنسية، وقبل مبادئ ويلسون، وقبل ميثاق الأطلنطي الذي كتبوه على الماء- بأكثر من ألف سنة! أعلنه إعلانا حقيقيّا، تؤيِّدُه وقائعُ الحياة الإسلامية، وأوضاع المجتمع الإسلامي، لا الإعلان الغربي الذي تكذبه شواهدُ الواقع، ومظاهر الحياة في ديار الغرب! وهي أعيادُ بطولة ورياضة، وما الحياةُ الرياضيَّة إلا حياة الصَّبر والاحتِمال، وألا يَزْدَهِي صاحبُها بالنصر، ولا تَهدُّه الهزيمة، وأن يَستشْعِر الأخوة الرياضية لشركائه في هذا الكفاح، وكل ذلك يتحقَّق على أتَمِّه وأكمله، في صيام رمضان، وفي شعائر الحج. وهي أعيادُ فرحة ومسرَّة، ولهو شريف، ومتاع حلال



والإسلام ليس دين تزمُّت، ولا يُحارب طبيعة النفوس التي طَبَعَ الله النَّاسَ عليها، ولا يُنافِي الفِطْرَة، ولكنَّه يَمنَعُ ما فيه الضُّر، هذه هي المحرَّمات، فكلُّ لَهو لا مُحرَّم فيه، مطلوب شرعا إن كان باعتدال وقصد، وإلى الحد الذي يقوي النفس على الخير، ويُنشطها للقيام بما يُحب.

بقيت عليَّ كلِمة واحدة، هي أنَّ حكمةَ رمضان، لا تتمُّ في عيد الفطر إلا إذا شاركتُم الفُقَراءَ في الأَكْلِ والشُّرب، كما شاركْتُموهم في الجُوع والعطش، وكنتُم معهم في لذَّة الوجدان، كما كنتم معهم في لوعة الحرمان، وأن لا تَملئوا أيديَ أولادكم باللعب والسكاكر، وفي أبناء جيرانِكم أولاد مثلهم

ينظرون إليهم، وأيديهم خالية، وأن تعلموا أنَّ مِمَّا رمَيْتُموه زهدا به من ثياب أولادكم ما يكون ثوب العيد، وفرحة العمر، لهؤلاء الأولاد، وأنَّ كلَّ غنيٍّ يَجِدُ من هو أغنى منه، وكل فقير يلقَى من هو أفقر منه، والمسائل نسبية، والعصفور نَملةٌ إن قيس بالفيل، ولكنَّه فيل إن قِيسَ بالنملة، فأعطِ مَن هو أفقَرُ منك عشر ليرات، هي عنده مائة ليرة وعندك ليرة، يبعث لك مَنْ يُعْطِيك خَمسة آلاف وهي لك خَمسون ألفا، وهي عنده عشر ليرات. وإذا فرَّحت أخاك بعطيتك، فرَّحك الله بعطية من عنده لا تحتسبها ولا ترتقبها وثواب الآخرة أكبر. فاختاروا يا أيها القرَّاء مما يفضُل من ثيابكم، وما يزيد من اللعب والسكاكر والحلويات عن أولادكم، فأرسلوه إلى أولاد الجيران الفقراء، دعوهم يعيشوا يوما واحدا من السنة، كما تعيشون أنتم كلَّ يوم، ولا تعطوا عطاء الكبر والترفُّع، إعطاء الصدقة، بل إعطاء الصَّداقة، وربَّ بسمةٍ في وجه السائل، أو شدَّةٍ على يده أحبُّ إليْهِ من المال الذي تضَعُه في كفِّه؛ لأنَّ المال يُحْيِي جسدَه وحده، والمال مع الابتسامة يحيي جسده وروحه.

وحينما تخرجون من بيوتكم، فتجدون هؤلاء الأطفال الصغار، الذين كسوتموهم وأعطيتموهم الحلويات واللعب، ينظرون إليكم بعيون تبرقُ بالشُّكر والحب، ويبسِمون لكم بأفواه تشرق بالسعادة والفرح، وتسمعون أمَّهاتِهم يتمنَّين لكم طول العمر، ولأولادكم كمالَ النعم، حينئذ تعلمون أنَّ أعظم لذَّة في الدنيا هي لذَّة الإحسان. أليس هذا خيرا من أن تَجِدُوا في عيونِهم نظرات الحسد، وعلى ألسنتهم دعوات الموت والخراب؟ وهنيئا لكم بعدُ، قبول صيامكم، وهنيئا لكم أفراح عيدكم، وكل عام أنتم بخير..





الإسـلام وَ التنميـة المستدامة



د. نادر جمعة
أستاذ جامعي من لبنان

قال تعالى:(و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون) التوبة/ 105، و قال تعالى :(فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه) الملك/ 15 ، و قال صلى الله عليه و سلم:"إذا قامت القيامة و في يد أحدكم فسيلة فليغرسها" و تأسيسا على ما تقدم؛ أستطيع القول بأن النص الديني لدى المسلمين بفرعيه (الكتاب و السُنة)، زيادة على ان التجربة النبوية المباركة في المدينة المنورة، و التجربة التأريخية للمسلمين، تؤكدان و بما لا يدع مجالا للشك على **ضرورة تفعيل و بناء المنظومة العقائدية-السلوكية و الإقتصادية الإجتماعية للمسلمين،** و هذا لا يمكن أن يتم أو أن يتحقق إلاّ بالعمل المتواصل و الدعوة المستمرة و الجهد البناء بوساطة تنمية الموارد البشرية و الإقتصادية، والإستثمار في الزمان و المكان و الإنسان بغرض رفع مستوى الفاعلية و الإنتاج، و إعادة توزيع الناتج أو الفائض: الثقافي و الإجتماعي و الإقتصادي؛ بما يحقق العدالة الإجتماعية و الوفرة الإقتصادية و السكينة في الدين و الدنيا، و التي تمثل المقصد الأسمى للرسالة الإسلامية، و يؤدي أيضا إلى تحقيق المساواة بين شرائح المجتمع كافة، و بالتالي يوزع الفائض بحسب قيمة الجهد المبذول في الدورة الإقتصادية الإجتماعية.

هذه النظرة الإسلامية للوقت و العمل و الفرد كرستها ثقافة ما بعد الحرب الأولى، إذ دعا الإقتصاديون و الأنتربولوجيون إلى الإستثمار في الزمان و الإنسان على قاعدة:"دعه يعمل دعه يمر"؛ و النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان ينادي في أصحابه رضوان الله عليهم بعد عودتهم من الفتوحات:"الآن عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"، و أكبر الجهاد تنمية الموارد البشرية (إيمانيا و سلوكيا)، و تحقيق التنمية المستدامة إقتصاديا، و رفع مستوى دخل الفرد، و القضاء على البطالة، و البيروقراطية، و معالجة الفساد الإداري.

لذلك أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد بنائه المسجد (غرفة العمليات السلوكية-الإيمانية) هو

إنشاؤه للسوق الإقتصادي الإسلامي المستقل (حوكمة إقتصادية)، لتحرير الإقتصاد و تحقيق الإستقلال المالي و الإداري (حوكمة سياسية و مالية و إدارية)؛ و ربط عليه الصلاة و السلام السوق بالدينار الإسلامي لتحقيق الأمن الإقتصادي، بينما كل إقتصاديات الدول اليوم مرتبطة بالدولار (الدولرة) مما يفرض على حكومات العالم الإرتباط شبه العضوي بالنظام المالي و المصرفي العالمي (الأميركي) و ما يتعلق به و ينتج منه. لذلك استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم تحرير الإقتصاد الإسلامي من أعباء السوق و وسائل الإستثمار التي كانت سائدة آنذاك على مستوى المدينة و الجزيرة العربية.

> **لا يوجد نص ديني يدعو إلى ترك العمل واللجوء للراحة والاستكانة**

و قد حاولت جاهدا العثور على نص ديني في كتب التراث الإسلامي يمنع أو يحرم أو يجرم أو حتى يدعو إلى ترك العمل و اللجوء إلى الراحة و الإستكانة فلم أوفق على ذلك؛ و هذا ليس من نتيجة فقر **المنظومة الإسلامية** على هذا الصعيد، و إنما لأنها **تدعو و تحرض بنصوص كثيرة في الكتاب و السُنة على العمل و الإبداع و الإنتاج كقيمة أخلاقية و كواجب ديني عقيدي يلزم أتباعه**. حتى أن القرآن الكريم و السنة النبوية يعيبان على المواطنين (الناس) و المؤمنين (المسلمين) القعود و التواكل و الإتكال. و الذي لاحظته أثناء تتبعي بعض النصوص المرتبطة بأعياد المسلمين، أنها لم تتضمن أي دلالة أو توجيه مباشرين لترك العمل، بل هي في بعدها الدلالي الثانوي غير المنصوص عليه فيها دعوة إلى تحسين الأداء و زيادة الفاعلية، و هذا ما أثبتته و دعت إليه بعض الدراسات الحديثة في علم الإدارة و هو أن **الترفيه و التحفيز و إدخال الفرح و السرور على قلوب أعضاء الفريق الإداري هي من الوسائل المساعدة في رفع و زيادة إنتاجية الفريق**.

إن قراءة فاحصة في نصوص السيرة و السنة النبوية و تتبع بعض المصطلحات و الكلمات المكونة للخطاب النبوي بوصفه عليه السلام القائد و المدير و المرشد؛ تطلعنا على طريقته عليه الصلاة و السلام في عمليات الدعم و التأهيل النفسي و السلوكي للفاعلين الإجتماعيين في المدينة وقتذاك، بهدف التثبت من الجاهزية التامة للمواطنين (المسلمين و الذميين) و رفع مستوى الإبداع و الإنتاج في الدولة المسلمة وقتها.

ما أود قوله هو: أنه بعيدا عن المزايدات الإعلامية، و المناكفات السياسية و الدينية فإن **القرآن الكريم و السنة النبوية يتضمنان دعوة إلى العمل الدائم و الإنتاج المستمرين**، قال تعالى:(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض)الجمعة/10، و أنه بهذه العقلية و هذا الأسلوب استطاع المسلمون الأوائل أن يتقدموا على غيرهم من الأمم.



معجزة في حديث

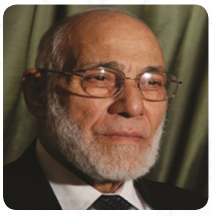

د. زغلول النجار
داعية من مصر

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أنه قال: **تعود جزيرة العرب مروجا وأنهارا** وهذا الحديث الشريف من المعجزات العلمية التي تصف حقيقة كونية لم يدركها العلماء إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين, حين ثبت لهم بأدلة قاطعة أن جزيرة العرب كانت في القديم مروجا وأنهارا, كما تشير الدراسات المناخية إلى أن تلك الصحراء القاحلة في طريقها الآن للعودة مروجا وأنهارا مرة أخرى;

وذلك لأن كوكب الأرض يمر . في تأريخه الطويل . بدورات مناخية متقلبة تتم على حقب زمنية طويلة ومتدرجة, كما قد تكون قصيرة فجائية, ومتسارعة. فعلى سبيل المثال ادرك علماء الأرض منذ قرن ونصف تقريبا ان أرضنا قد مرت بعدد من دورات زحف الجليد على اليابسة تعرف باسم الدورات الجليدية يتحرك خلالها الجليد من أحد قطبي الأرض (أو منهما معا) في اتجاه خط الاستواء ومن قمم الجبال إلى سفوحها والسهول المحيطة بها; وينحسر في عدد من المرات في الدورة الواحدة;

وقد وضعت نظريات عديدة لتفسير كيفية دخول الأرض في هذه الدورات الجليدية، تتلخص في نقص كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلى ذلك الكوكب نتيجة للتغيرات الدورية في شكل مداره حول الشمس, وميل محوره على هذا المدار, واختلاف معدل ترنحه حول محوره; يضاف إلى ذلك زحف القارات عبر المناطق المناخية المختلفة كنتيجة حتمية لتحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض. وفي أثناء الزحف الجليدي على اليابسة تتحول البلاد في مناطق خطوط العرض العليا إلى صحارى جليدية قاحلة تموت فيها النباتات, وتهرب الحيوانات, بينما يتحول الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غربا إلى أواسط آسيا شرقا إلى منطقة مطر غزير; وفي أثناء هذه الدورات المطيرة شقت كل الأودية الجافة التي تنتشر في صحاري تلك المنطقة اليوم, وكانت أنهارا متدفقة في القديم, ثم جفت مع تناقص

كمية الأمطار; فهذه الأودية الجافة لايمكن أن يكون سبب شقها عاملا غير المياه الجارية.

وبدراسات متأنية **ثبت لنا أن جزيرة العرب قد مرت بالثلاثين ألف سنة الماضية بسبع حقب مطيرة تخللت ثماني حقب جافة**, و نمر حاليا بالحقبة الثامنة منها. وتشير الدراسات المناخية إلى أننا مقدمون على حقبة جديدة شواهدها بدايات زحف للجليد في نصف الكرة الشمالي باتجاه الجنوب, وانخفاض ملحوظ في درجات حرارة فصل الشتاء; ولولا التزايد المطرد في معدلات التلوث البيئي، التي تزيد من ظاهرة الاحتباس الحراري لشاهدنا زحف الجليد على كل من أمريكا الشمالية وشمال كل من أوروبا وآسيا في زماننا الراهن. وفي حقب المطر كسيت الجزيرة العربية بالمروج الخضراء, وتدفقت الأنهار بالمياه الجارية, وتحولت المنخفضات إلى بحيرات زاخرة بالحياة المائية, وعمرت اليابسة بمختلف صور الحياة الأرضية كما وصفها حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الذي نحن نعرض له..

وحتى صحراء الربع الخالي . التي تعتبر اليوم واحدة من اكثر أجزاء الأرض قحولة وجفافا . ثبت ان بها أعدادا من البحيرات الجافة, والمجاري المائية القديمة المدفونة تحت رمالها السافية, وان تلك البحيرات والمجاري المائية كانت زاخرة بالحياة, ومتدفقة بالمياه إلى زمن قوم عاد الذين أقاموا في جنوب الجزيرة العربية حضارة مادية لم يكن يدانيها في ازدهارها المادي حضارة أخرى في زمانها, وكانت تلك الحضارة تصدر إلى أوروبا (البدائية في ذلك الوقت) الفواكه المجففة, والبذور, والعطور, والبخور,



والأخشاب, والذهب والفضة, فلما جاء إلى قوم عاد نبيهم ورسولهم سيدنا هود(عليه السلام) بالهداية الربانية, بدعوة التوحيد الخالص لله تعالى وعبادته بما أمر, والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض وعمرانها, وإقامة عدل الله فيها, كفروا بربهم, وجحدوا بآياته, وعصوا رسله, وكذبوهم, واستكبروا في الأرض بغير الحق, فحجز الله تعالى عنهم المطر, وارسل عليهم الريح العقيم فطمرت حضارتهم برمالها, وقطعت دابرهم, وقد وصف الحضارة المادية لقوم عاد أثناء ازدهارها اثنان من المؤرخين القدامى كان أولهما بطليموس الإسكندري, الذي كان أمينا لمكتبة الاسكندرية وقام برسم الأنهار المتدفقة في منطقة الربع الخالي الحالية بتفرعاتها, والبحيرات التي كانت تفيض إليها، وكان ثانيهما هو بليني الكبير أحد مؤرخي

الحضارة الرومانية، والذي وصف حضارة عاد بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى.

وتمثل حقبة الأمطار الغزيرة الأخيرة في شبه الجزيرة العربية, في الثلاثين الف سنة الماضية نهايات العصر الجليدي الأخير، الذي عم الأرض خلال المليوني سنة الأخيرة في دورات متتالية من زحف الجليد وانحساره، حيث تركت بصماتها واضحة على أشكال سطح الأرض الحالية بصفة عامة, وفي نصفها الشمالي بصفة خاصة; وقد أحصى العلماء من تلك الدورات عشرين دورة استغرقت كل منها حوالي المائة ألف سنة, كان نصفها دورات زحف جليدي تخللتها عشر دورات من دورات انحسار هذا الزحف الجليدي, ونعيش اليوم في نهاية آخر دورة من دورات هذا الانحسار الجليدي, ويبشر العلماء ببداية دورة جليدية جديدة قريبا إن شاء الله بدأت شواهدها بالفعل. وليس دخول الأرض في دورة من دورات زحف الجليد على اليابسة بالأمر المستغرب، فقد حدث ذلك في تأريخ الأرض الطويل عدة مرات, آثارها مدونة بدقة فائقة في صخور الارض، منها اثنتان في أحقاب ماقبل الكمبري، إحداهما في حدود بليوني سنة مضت, والأخرى منذ ستمائة مليون سنة مضت, واثنتان في صخور أحقاب الحياة القديمة، أولاهما في حدود400 إلى440 مليون سنة مضت (العصر الأوردوفيشي . السيليوري) والأخرى في حدود250 .300 مليون سنة مضت (العصر الكربوني و العصراليرمي) وقد تركت الأولى آثارها على الثلث الشمالي من الجزيرة العربية, وكان الزحف الجليدي فيها قادما من شمال أفريقيا, وتركت الثانية آثارها على ثلثها الجنوبي وكان الزحف الجليدي فيها قادما من شبه القارة الهندية التي كانت في ذلك الوقت موجودة في جنوب الجزيرة العربية وملتحمة معها، ومع كل من القارات الأفريقية, والاسترالية, والأمريكية الجنوبية مكونة قارة عظمى واحدة اطلق عليها العلماء اسم أرض جندوانا، و هذه الحقائق لم يتوصل الإنسان إلى معرفتها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين, وإشارة المصطفى (صلي الله عليه وسلم) إليها في حديثه الكريم تعود جزيرة العرب مروجا وأنهارا مما يشهد له بالنبوة وبالرسالة, وبأنه صلى الله عليه وسلم كان موصولا بالوحي, وان الله سبحانه و تعالى هو الذي ينعم عليه بالعلم و المعرفة.







الصحابة رضي الله عنهم و الفتح الإسلامي للبنان

الشيخ سليم يوسف

للحديث عن هؤلاء الأطهار ، و الدور الريادي الذي لعبوه في الفتح الإسلامي لبلاد الشام و منها لبنان، نقدم ببيان الخطوات التي اتبعها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، و خاصة الوصايا التي رسمت طرق القادة العسكريين فألزمتهم بالتقيد بها، و هي من الحكمة و بعد النظر و الإنسانية في المكان الأرفع و الأسمى و كأنه خريج أرقى الجامعات العسكرية بمفهومنا هذه الأيام، و التي أضاءت على دور الجيش و قادته، و ما تميزت منه من أبعاد إنسانية، فالفتح كان لتحرير الإنسان من عبادة الإنسان إلى عبادة رب الإنسان، و ليس لإمتلاك أراضين و أموالا وتوسعة مالية على حساب الآخرين. والمؤرخ الدكتور عمر تدمري قد أحصى من هؤلاء الصحابة واحدا و سبعين صحابيا، دخلوا لبنان و قاموا بتطهيره من رجس المحتلين الغرباء، و أعادوه إلى حضن الوطن الأم.

هذا و يجمع المؤرخون أن بدايات الفتح الإسلامي للبنان كانت في عام 13هـ/634م، حيث جهز أبو بكر رضي الله عنه الجيوش إلى العراق و الشام بعد فراغه من الحج، فأرسل عمرو بن العاص إلى فلسطين و مصر، و يزيد بن أبي سفيان إلى الشام، و شرحبيل بن حسنة إلى الأردن، و قائدهم العام أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.[1]

و لا بد من الإشارة إلى أن أول احتكاك حربي بين العرب المسلمين و الروم كان في وقت سابق لفتح المسلمين مدينة دمشق، و كان مع أهل مدينة بعلبك، و بذلك كان البقاع أول من حاز شرف قدوم المسلمين إلى لبنان. و قد عرض للجيش الإسلامي في الشام ما دفع أبا بكر لأن يستدعي خالد بن الوليد من العراق و يدفع به إلى قيادة الجيش في الشام، فلبى خالد و أطاع، و كان خط سيره في عبوره بادية الشام عبر مدينة تدمر، حيث أخذها صلحا، و في طريقه مرّ بحوّارين[2].من جبل "سنير"الواقع بين حمص و بعلبك، فتحصن أهلها منه،

فأغار عليهم و استاق مواشيهم و قتل رجالهم، و أقام عليهم أياما... فجاءهم المدد من بعلبك و بُصرى الشام[3]. فاصطدم بهم خالد و اضطرهم إلى دخول المدينة و دخلوا حصنها حتى انتهى أمرهم بالصلح[4]و هو ما يقوله المؤرخون و منهم البلاذري و النويري و غيرهما، و تمّ ذلك في عام 14هـ/635م. وكتب لهم أبو عبيدة كتابا و أشهد عليه شهودا بذلك، و ذكر كل من البلاذري و ابن عساكر نصين مختلفين للكتاب، لكنهما يتفقان في المعنى.

وصايا أبو بكر الصديق لقادة فتح الشام شكّلت دستورا يجب أن يتّبع ويدرّس لولاة الأمر

و يهمنا أن نشير إلى الوصايا التي أوصى بها أبو بكر قادة فتح الشام و التي شكلت دستورا يجب أن يتبع في مثل هذه الحالات: و كان مما قاله ليزيد بن أبي سفيان:

"إني قد وليتك لأبلوك و أجربك وأخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك، و إن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، و إن أولى الناس بالله اشدهم توليا له، و اقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله، و قد وليتك عمل خالد – و هو خالد بن سعيد بن العاص، و كان عقد له أولا ثم عزله – فإياك و عُبّية الجاهلية فإن الله يبغضها و يبغض أهلها،[5] و إذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، رو ابدأهم بالخير، و عدهم إياه، و إذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، و أصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلّ الصلوات لأوقاتهابإتمام ركوعها و سجودها، و التخشع فيها، و إذا قدم عليك رُسل عدوك فأكرمهم، و أقلل لُبثَهم حتى يخرجوا من معسكرك و هم جاهلون به، و لا تُرينّهم فيروا خللك، و يعلموا علمك، و أنزلهم في ثروة عسكرك[6] و امنع من قبلك من محادثتهم، و كن أنت المتولي لكلامهم، و لا تجعل سرك لعلانتيك فيخلط أمرك، و إذا استشرت فاصدق الحديث، تُصدق المشورة، و لا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، و اسمره بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، و تنكشف عنك الأستار، و أكثِر حرسك، و بددهم في عسكرك، و أكثِر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه، و عاقبه في غير إفراط، و اعقب بينهم بالليل و اجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربها من النهار، و لا تخف من عقوبة المستحق، و لا تلجّن فيها، و لا تسرع إليها و لا تَخِذ لها مدفعا، و لا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، و لا تجسس عليهم فتفضحهم، و لا تكشف الناس عن أسرارهم، و اكتف بعلانيتهم، و لا تجالس العبّاثين، و جالس أهل الصدق و الوفاء، و اصدق اللقاء و لا تجبن فيتجبن الناس، و اجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر و يدفع النصر، و ستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في

الصوامع فدعهم و ما حبسوا أنفسهم له"[7].

ثم علق ابن الأثير رحمه الله تعالى على هذه الوصية الحكيمة بالقول:"**و هذه من أحسن الوصايا و أكثرها نفعا لولاة الأمر.**

و يبقى أن نجيب سائلا يسأل، و **ما هي الفائدة من ذكر صحابة رسول الله و التعرف عليهم**، و للسائل نقول: إن الدور المشرق الذي قاموا به يكفي أن الله تعالى كرمهم بقوله (محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)الفتح/29. و ما أجمل ما وصفهم به الصادق الأمين حيث قال:"أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" و نحن كبشر، أفلا نذكرهم و نعرّف بهم، و بهم قد عُرِفنا و تشرفنا، إذ هم التأريخ الناصع الذي جعل لنا مكانا تحت الشمس، و ما أجمل و أبلغ ما قال أحد المؤرخين المعاصرين:"إن الذين يعرفون أسماء الفاتحين من المسلمين الأوائل للبنان...لا يكادون يتجاوزون الخمسة بالمئة من اللبنانيين، و لا أغالي إذا قلت: إن الأكثرية الساحقة من طلبة المدارس و المعاهد و الجامعات، و الغالبية العظمى من النخبة المثقفة يجهلون أسماء الفاتحين".[8]

و نحن نقول إذا كان الصحابة الأوائل دخلوا لبنان فاتحين و معلمين و مرابطين بهذه المنزلة عند الله و رسوله، و هم شارحو و مفسرو القرآن، و حافظو سُنة رسوله، كان لا بد من التذكير بهم و معرفة أدوارهم، وفاء لهم، و تأسّيا بسيرهم المضيئة في عملية بناء الأوطان و تحرير المقدسات، و من ليس له تأريخ فليس له مستقبل. و للقاريء الكريم نقول: كان لا بد من هذه المقدمة اليسيرة يتبعها حلقات تتناول الأولى منها التنويه ببنود الوصايا التي وجهها الخليفة الأول لقادة الفتح، و هكذا حتى نستوفي الموضوع. و الله ولي التوفيق.

---

[1] ابن كثير،البداية و النهاية،5/98،دار الفكر،بيروت،ط1996،1؛ابن الأثير،الكامل في التأريخ،2/275،دار الكتاب العربي،بيروت، ط1967،2؛النويري،نهاية الارب،19/73،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2004،1؛ابن الجوزي،المنتظم،4/115،دار الكتب العلمية،ط1995،2؛الطبري،تأريخ الأمم و الملوك،ج3،ص28،مكتبة خياط،-بيروت،د.ت.

[2] حوّارين: حصن من ناحية حمص، و هو امتداد لجبل سنير،معجم البلدان،2/315،دار صادر،بيروت،د.ت.

[3] عمر تدمري،لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية،23/24،جروس برس،طرابل س،ط1990،1،؛البلاذري،فتوح البلدان،136،دار الكتب العلمية،بيروت،1983.

[4] البلاذري،136،نهاية الارب،19/119،ابن عساكر،تأريخ مدينة دمشق،2/69/70 وما بعدها،دار الفكر،بيروت،1995،تح - محب الدين العمروي.

[5] عُبّية الجاهلية: كبرها و عجبها،ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث،3/169،دار إحياء التراث العربي،بيروت،د.ت.

[6] ثروة العسكر:كناية عن العدد الكبير،م.ن،2/210.

[7] الكامل في التأريخ،2/277.

[8] عمر تدمري،م.س. ،8/9،المطبعة العصرية،صيدا،ط2008،1.



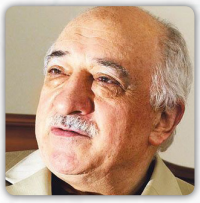

التربية و الأبوّة النبوية

محمد فتح الله كولن

داعية تركي

كان النبي صلى الله عليه وسلم ذروة في كل وحدة من وحدات الحياة وفي كل أمر فيها. وعندما يريد الناس البحث عنه يجب ألا يبحثوا عنه في مستواهم ولا في مستوى عظماء عصره، بل عليهم أن يبحثوا عنه في أعلى الذرى وأن يطيروا بخيالهم فوق هذه الذرى لكي لا يخطئوا فيقصروا في فهم قدره الحقيقي. أجل، من أراد البحث عنه، عليه أن يبحث عنه في أُفقه، وليس بين كل مستويات الأشخاص العاديين من أمثالنا، ذلك لأن الله تعالى وهبه قابليات كبيرة في كل ساحة.

وكما كان زوجا مثاليّا لزوجاته، فقد كان أبا مثاليّا أيضا.. وعلى المقياس نفسه كان جدّا مثاليّا لا يوجد له نظير أو شبيه..

و الرسول الكريم كان يعامل أولاده وأحفاده بحنان كبير، و لكنه لم ينس أن يوجه أنظارهم إلى الآخرة وإلى معالي الأمور، و كان يضمهم لصدره ويبتسم لهم ويداعبهم، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن يغض طرفه عن أي إهمال لهم لشئون الآخرة، وكان في هذا الأمر واضحا جدا وصريحا جدا، ووقورا ومهيبا وجادّا فيما يتعلق بصيانة العلاقة بينه وبين خالقه.

فمن جهة كان يعطي الحرية لأولاده ويرشدهم إلى طرق العيش بشكل يليق بالإنسان، ومن جهة أخرى كان لا يسمح في انفلات الانضباط أو سلوك طريق اللامبالاة. ويبذل كل جهوده وبكل دقة لمنع إصابتهم بأي تعفن خلقي، ويهيئهم لعوالم علوية وللحياة الأخروية، وفي أثناء هذه التربية كان الرسول صلى الله عليه و سلم يحذر من الوقوع في الإفراط أو التفريط، بل يختار الطريق الوسط ويمثل الصراط المستقيم، وكان هذا بُعدا آخر من أبعاد فطنته.

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه الذي خدم رسول الله صلى الله عليه و سلم عشر سنين أنه قال: ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه و سلم.

ولو كان هذا كلاما صادرا منا فقط لكان من الممكن بقاء أهميته محدودة، إلا أن الملايين من أمته التي تعمقت الرحمة والشفقة في قلبها إلى درجة التورع عن إيذاء نملة.. هذه الملايين كلها تعلن وتعترف بأنه لم يكن هناك مثيل له صلى الله عليه و سلم في احتضانه الوجود كله بشفقته ورحمته، صحيح أنه خلق بشرا من البشر، ولكن الله تعالى ألهمه ووضع في قلبه عاطفة الاهتمام بالوجود كله لكي يوطد علاقته بالناس أجمعين، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مشحونا بعاطفة قوية وباهتمام كبير تجاه أفراد بيته وتجاه الناس الآخرين وكل شيء في الكون.

وقد ولدت له أمنا مارية رضي الله عنها ولدا ذكرا فتوفي ، وكان هذا آخر أولاده الذكور و قد توفوا كلهم ، و في حياتهم كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخصص لهم وقتا من بين مشاغله الكثيرة والمهمة فيذهب إلى مرضعة كل ابن له ويحتضن ابنه ويقبله ويداعبه ويشمه ويظهر له علامات حبه له، وعندما توفي ابنه من ماريا احتضنه أيضا وقد ملأت الدموع عينيه، ثم قال وهو ينظر إلى المستغربين لحزنه: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.» وفي حديث آخر: «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا» وأشار إلى لسانه.

لقد كان -صلى الله عليه وسلم- أرحم الناس وأكثرهم شفقة وحنانا، فكان الحسن والحسين يركبان على ظهره ويطوف بهما أرجاء المنزل أو في المسجد، هل تتصورون شخصا في هذا المستوى يأخذ حفيده على ظهره ويكون لهما فرسا أمام الآخرين..؟ أما هو فكان يفعل هذا، وفي أحد الأيام وبينما كان الحسن والحسين رضي الله عنه على ظهره دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لهما: نِعْمَ الفرس تحتكما، فقال الرسول صلى الله عليه و سلم: ونعم الفارسان هما.



وكما كان صلى الله عليه و سلم في جميع الأمور وسطا، فقد سلك رسول الله صلى الله عليه و سلم الطريق الوسط في موضوع تربية الأطفال، فقد كان يحب أولاده وأحفاده حبّا جمّا، ويُشعِر هذا الحب لهم، ولكنه لم يكن يسمح في أي استخدام سيء لهذا الحب، هذا علما بأنه لم يكن يوجد بين أولاده وأحفاده من يحاول هذا أصلا، غير أنه عندما يقومون بتصرف خاطئ

من دون عمد نرى مِن تصرّف رسول الله صلى الله عليه و سلم وكأن ضبابا من الوقار لف هذا الحب العميق ، وبسلوك ملأه الدفء يسعى لمنعهم من الشبهات؛ فمثلا الحسن رضي الله عنه -وهو طفل صغير- مدّ يده إلى تمر صدقة، فأسرع رسول الله صلى الله عليه و سلم وانتزع تلك الثمرة من فيه قائلا له: أما علمتَ أن الصدقة لا تحل لآل محمد، وهذا من أفضل الأمثلة على إقامة التوازن التربوي منذ الصغر، وفي كل مرة كان يدخل فيها المدينة كان الناس يروه و بعض الصبيان ملتفين حوله

> **ليس في الإسلام تفاضل بين الذكر والأنثى وهو ما أظهره رسول الله في تربيته لأولاده**

فلم يقصر رسول الله صلى الله عليه سلم حبه على أولاده وعلى أحفاده فحسب، بل على أولاد وصبيان جيرانه وغير جيرانه أيضا. لم يكن أولاده الذكور وأحفاده هم الداخلين فقط ضمن دائرة حبه وحنانه، فقد كان يحب حفيدته أُمامة مثلما يحب حفيده الحسن أو الحسين ، فكثيرا ما شوهد وهو يخرج من البيت وعلى كتفه أُمامة، وكان يحملها أحيانا على ظهره وهو في صلاة النافلة فإذا ركع وضعها على الأرض وإذا قام رفعها، و هكذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يظهر حبه لأُمامة في مجتمع كان الناس فيه حتى عهد قريب يئدون البنات، لذا كان هذا التصرف منه تصرفا جديدا غير مسبوق من قبل أحد آنذاك.

و ليس في الإسلام تفاضل بين الذكر والأنثى، وهذا هو ما أظهره الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه، ففاطمة كانت ابنته عندما كانت تقبل على رسول الله صلى الله عليه و سلم وتزوره يقوم لها ويأخذ بيدها ويجلسها بجانبه ويسأل عنها وعن أحوالها ويظهر حبه لها، وعندما تقوم يقوم معها ويودعها بكل لطف.

و مرة رغب علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الزواج من بنت أبي جهل، وهذه المرأة كانت قد دخلت الإسلام مثل أخيها عكرمة فالتحقت بقافلة النور؛ ولكن هذا الزواج كان من الممكن أن يضايق فاطمة رضي الله عنها، ويجوز أن عليا رضي الله عنه لم يخطر على باله قط أن فاطمة يمكن أن تستاء من مثل هذا الزواج، ولكن عندما أتت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبره بالأمر وتظهر حزنها صعد المنبر وقال: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها و يؤذيني ما آذاها. وكان علي رضي الله عنه من بين المستمعين فتراجع عن نيته تلك وعاد إلى فاطمة. أجل، لقد كان والدها يحبها كثيرا وكانت بدورها تبادله الحب العميق. ولكن رسول الله

صلى الله عليه و سلم كان عندما يحبها يعرف كيف يحفظ التوازن ويعدُّها لكي يوصلها إلى العالم الذي يجب أن ترتفع الأرواح وتسمو إليه، ذلك لأن الرفقة الأبدية لا تكون إلا هناك،



ويمكن رؤية هذا بكل وضوح في الحادثة التالية: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وفي عنقها سلسلة من ذهب فقال لها: «يا فاطمة! أيغُرُّكِ أن يقول الناس ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار.» ثم خرج ولم يقعد، وتكملة الحادثة هي: أرسلت فاطمة بالسلسلة إلى السوق فباعتها واشترت بثمنها غلاما فأعتقته، فحُدِّث عليه الصلاة و السلام بذلك فقال: الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار.

وجانب آخر من جوانب نظام تربيته صلى الله عليه و سلم يعرضه علينا الإمام البخاري ومسلم رضي الله عنه وذلك رواية عن علي بن أبي طالب أن فاطمة شكت ما تلقى من أثر الرحى فأتى النبيَّ صلى الله عليه و سلم سَبْيٌ فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشةَ فأخبرتها فلما جاء النبي صلى الله عليه و سلم أخبرته عائشة بمجيئ فاطمة فجاء النبي صلى الله عليه و سلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبتُ لأقوم فقال: «على مكانكما» فقعد بيننا حتى وجدتُ برد قدميه على صدري وقال: ألا أُعلّمكما خيرا مما سألتماني: إذا أخذتما مضاجعكما تُكَبِّرا أربعا وثلاثين وتُسَبِّحا ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم.

و لكي نفهم قصد الرسول الكريم فهو يكاد يقول لابنته فاطمة أنني أوجه نظركِ إلى العالم الأخروي، فلكي تكوني معي في ذلك العالم أمامك طريقان: الأول هو **عدم التقصير في أداء وظيفة العبودية تجاه ربك،** والثاني **القيام بإيفاء وظيفتك تجاه زوجك،** فلو قام الخادم بإيفاء بعض الخدمات لزوجك من الخدمات التي كان من المفروض عليك أداؤها، فذلك يعني أن هناك نقصا مما عندك، علما بأن عليك أن تكوني ذات جناحين، لذا عليك أن تُفَتشي عما يجعل الإنسان عبدا كاملا لله، وكيف يكون إنسانا كاملا يؤدي كل وظائفه من دون قصور.

لقد كانت فاطمة رضي الله عنها ابنته، لذا حرص صلى الله عليه و سلم على أن ينقل لابنته التربية التي تلقاها من الحق تعالى وأن يوجه نظرها إلى الله وحده وإلى الحياة الأخروية.

> كان رسول الله يعيش ما يقوله ويقول ما يعيشه وهذا الذي يؤثر بأهل بيته تأثيرا إيجابيا

هذا و قد كان **الطابع العام الذي يسري بجو بيته الكريم، هو التقوى والخشية،** فهذا الجو كان يسري بكل حركة وسكنة فيه، فمن استطاع مشاهدة نظرات رسول الله صلى الله عليه و سلم رأى فيها غبطة الوصول إلى الجنة وخشية الوقوع في النار، ومن رآه في صلاته رآه يرتجف أحيانا إلى الأمام وأحيانا إلى الخلف مهتزا من خشية الله أو متولها بالشوق إليه، ينقل النسائي الحديث التالي عن مُطَرِّف عن أبيه قال: "أتيت النبي وهو يصلي ولجوفه أَزِيز كأزيز المِرْجَل"، يعني يبكي. و الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان دائم البكاء في الصلاة متجها الى الله باعماق قلبه،

ومن البديهي أن حالته هذه كانت تؤثّر بأهل بيته تأثيرا إيجابيا وقويا من الناحية التربوية، فقد سرى هذا الخشوع والتقوى والخوف من الله إلى نسائه وأولاده، ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يعيش ما يقوله ويقول ما يعيشه، وليس هناك أحدا استطاع أن يؤثر بسلوكه المطابق لفكره مثلما أثر الرسول صلى الله عليه و سلم في بيته، ولو جمع كل علماء النفس وعلماء التربية كل معلوماتهم من جميع النظم التربوية واستخدموها بأجمعها في تعبئة عامة لما استطاعوا أن يقتربوا في تأثيرهم إلى مستوى التأثير الذي أحدثه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في بيته و في مجتمعه بل في العالم بأسره.

ففي التربية كان صلى الله عليه وسلم -قبل كل شيء- أبا وجدا لا نظير ولا مثيل له، وقد يكون هذا أمرا بسيطا من الناحية الاجتماعية، إلا أنه في الحقيقة من أصعب العقبات التي يجب على الإنسان تخطيها

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمام صفوف الأُول من الذين تخطوا هذه العقبات بنجاح، فأصبح أفضل أب وأفضل جدّ، ثم إنه ربى أولادا وأحفادا و صحابة رضي الله عنهم، و جاء من صلبهم معظم رجال السلسلة الذهبية في التأريخ الإسلامي، من الذين كانوا شموسا وأقمارا ونجوما هادية، وهذا الأمر دليل آخر من دلائل نبوته صلى الله عليه و سلم، إذ مهما كان الإنسان ذكيا وعبقريا فليس باستطاعته أن يكون مربيا بهذا المستوى الرفيع.





مختـارات

د. علـي لاغـا

أيها السادة :

(1) إن كُنتُم تقصدون بدعواتكم إصلاح عقول الناس ومشاعرهم فالحاجة الى محاضرين لديهم الباع الطويل والخبرة والسبق في اجتراح الحلول لأسباب تخلفنا ليس بسبب عدم الإيمان، بل بعدم فهمه، وليس من قلة صوم وصلاة وزكاة وقراءة كتاب الله تعالى وحج وتقديم دماء، بل بفهم خاطيء. وهكذا مسائل لايستسيغها أو يرغبها جمهور أثقلته الجراح والهم الى حد الكآبة بل المحاضرات الفضائية التي تريحه لساعات لأنه لايقترف حراما باللجوء الى مُسكر ألا ترون أن الكلام والوعظ الفضائي والتأثير بالمشاعر تخصصت له مئات الفضائيات ؟ والناتج مزيد من الضياع والتخلف والاقتتال والتهجير والموت غرقا في عباب البحار واللجوء ؟؟؟ وخبرتي وعلمي تؤكد أن هذه المؤسسات تدري ما تفعل ، وإذا أردتم إصلاح المجتمع ورفاهه صدقا وتنميته ورفعة شأنه، فافتحوا نواديكم لحوار يشارك فيه علماء في الاجتماع والسياسة والاقتصاد واستشراف المستقبل ممن يعالجون الظاهرة الماثلة أمامهم ويضعون لها الحلول نعم هذه المحاضرات لايتحمس لها الجمهور ولا يحضرها الألوف مع نسائهم وأولادهم لكنها الطريق الى الإصلاح وكفى ترفيها بريئا.

(2) إنني استمعت إلى الوعاظ. فلم تؤثر بيّ نصائحهم ولاوعظهم. فتأملت في السبب، فرأيت أنه زيادة على قساوة قلبي هناك ثلاثة أسباب:

الأول : إنهم يتناسون الفرق بين الحاضر والماضي فيبالغون كثيرا في تصوير دعاواهم محاولين تزويقها من دون إيراد الأدلة الكافية التي لا بد منها للتأثير وإقناع الباحث عن الحقيقة، فالزمن الحاضر أكثر حاجة إلى إيراد الأدلة.

الثاني : إنهم عند ترغيبهم بأمرٍ ما وترهيبهم منه يُسقطون قيمة ما هو أهم منه، فيفقدون بذلك المحافظة على الموازنة الدقيقة الموجودة في



الشريعة، أي انهم لا يميزون بين المهم و الأهم .

الثالث : إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي أرقى أنواع البلاغة، فلا بد أن يكون الكلام موافقا لحاجات العصر. إلاّ أنهم لا يتكلمون بما يتفق و تشخيص علّة هذا العصر، وكأنهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر، فيحدثونهم بلسان ذلك الزمان.

(3) فعلى الوعاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محقّقين ليتمكنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضا مدققين لئلا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر. وعليهم أيضا أن يَزنوا الأمور بموازين الشريعة.

فلتحيا الشريعة الغراء، ولتحيا العدالة الإلهية، وليحيا إتحاد الأمة، وسحقا للاختلاف، من أجل محبة **الأمة.**

ولتمت الأغراض الشخصية وفكر الإنتقام.



التحول نحو اليمين وَ التطرف في أوروبا

أ. فائـز السـعدون

دبلوماسي و كاتب
سياسي من العراق

تتناول هذه المقالة التي أقدمها اليوم ظاهرة مهمة تتعلق بمسار الحياة السياسية في أوروبا ممثلة بتوجهات الأحزاب السياسية، و هي دراسة تحليلية شاملة في نطاق الزمان حيث تغطي المدة من 1980 م و لغاية 2014 م كما تشمل عددا مهما من البلدان الأوروبية الرئيسية و استندت النتائج المقدمة فيها إلى معطيات إحصائية مفصلة.

تتناول الدراسة التغييرات التي طرأت على المشهد العام للنظام الحزبي الأوروبي على وفق محور يضم معايير جديدة تتركز في الاتجاهات التي تتبناها الأحزاب التقليدية و الحديثة على أساس مدى ابتعادها عن المعايير الليبرالية العامة متجهة نحو نوع من تبني خطاب ذي طبيعة سلطوية، و بعبارة أخرى على وفق معايير تتعلق بقضايا الهجرة و الحريات و الهوية القومية ، و التي كانت تشكل العناوين الأساسية للأحزاب الشعبوية و أحزاب اليمين، لكنها أصبحت أيضا تشكل عناوين أساسية في خطاب أحزاب الوسط، من اليمين و اليسار على حد سواء. وهذا تيار يبتعد بالمشهد السياسي الأوروبي متجها به نحو فضاء جديد إلى جانب الاهتمام التقليدي الخاص بقضايا الرفاه و البطالة و التعليم.

لقد ساد اعتقاد عام لمدة من الوقت مفاده أن هذا التحول جاء كنوع من المبادرة لسحب البساط من تحت اقدام اليمين الشعبوي من قبل أحزاب الوسط التي تبنت، لأغراض إنتخابية، مواقف كانت تعتبر في الماضي أقصى اليمين. و الحقيقة أن الأمر ليس كذلك، و أن هذا التوجه العام نحو اليمين قد بدا في الظهور منذ بداية الثمانينات، و لم تكن حركات اليمين الشعبوي قد ظهرت كعامل مؤثر بالحياة السياسية في أوروبا.

لا نقدم تفسيرا متسعا لذلك، بل نكتفي بتأشير الظاهرة من مؤشرات إحصائية تلخصها المقالة بشكل نصي، و سنحاول في هذا التقديم فهم الظاهرة بشكل تحليلي أكثر سبرا لأسباب الظاهرة التي تقع تحت عنوان عريض رئيسي صار يتردد كثيرا في الأدبيات السياسية الغربية.

تراجع الديمقراطية الليبرالية:

لقد ارتبطت الديمقراطية منذ شيوعها في الغرب، و بعض تطبيقاتها في مستعمراته السابقة بالليبرالية، و من أهم القيم التي أصبحت عناوين الحياة السياسية هي التعددية السياسية و الثقافية و القبول بالغير و تبني طيف عريض من الحقوق و الحريات الفردية على المستويات القانونية و الاقتصادية و الاجتماعية، لكن ما ينبغي الانتباه عليه هو أن الليبرالية ليست ابنة الديمقراطية، و في الوقت نفسه فإن الديمقراطية ليست ابنة الليبرالية. و لم تعد معايير الحريات الاجتماعية/المدنية و الحرية الاقتصادية ترتبط عضويا بالديمقراطية على وفق تعريفها الأكثر شيوعا (حكومة الشعب، أو بوساطة الشعب، أو من أجل الشعب).

> **الفصل اليوم بين عالمي الليبرالية و الديمقراطية أصبح سمة عالمية**

فإن الفصل بين عالمي الليبرالية و الديمقراطية أصبح سمة عالمية، بل إن الديمقراطيات الليبرالية أصبحت تتجه مبتعدة عن الليبرالية مع شيوع الاتجاه المتزايد نحو اليمين، الذي يقوم خطابه على قضايا رفض الغرباء (الهجرة)، والمحافظة على الهوية الأخلاقية الأوروبية التي تتقبل (قضايا المثلية الجنسية و الإجهاض و الحريات الجنسية)، و التأكيد على الهوية القومية و مبدأ السيادة الوطنية مثل (قضايا حرية التجارة و التكتلات الدولية).

و منذ انهيار الاتحاد السوفياتي و انتهاء الحرب الباردة سادت العالم موجة كاسحة من التوجه نحو الديمقراطية، شملت بلدان شرق و وسط أوروبا و آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية، و لكنها لم تكن ذات جوهر ليبرالي. و قد جرت منذ ذلك الحين عشرات من الانتخابات العامة ذات التعددية الحزبية في عدد كبير من هذه البلدان، و عكست مشاركة شعبية واسعة في الحياة السياسية العامة، غير أن ذلك النمو في الحياة السياسية لم يكن متزامنا بالضرورة مع نمو حقيقي في الحريات المدنية، لأن الحكومات التي تنتجها الانتخابات قد تكون حكومات غير كفوءة، و ربما فاسدة أو قصيرة النظر، أو غير مسؤولة ، و تسيطر عليها المصالح الخاصة، مما يجعلها عاجزة عن تبني سياسات تلبي الحاجات العامة للمجتمعات التي انتخبتها، غير أن التصنيف الوحيد الممكن لهذه البلدان هو أنها بلدان ديمقراطية لأنها تستوفي معايير الديمقراطية الدستورية، و لأنها تنظم انتخابات تنافسية تعددية، أما الذهاب لأبعد من ذلك فإنه يجعل من توصيف أي بلد ديمقراطي أمرا متعذرا. فالتوسع في المعايير يعني اعتماد مجموعة شاملة من القيم و الحريات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الدينية يصعب إيجادها متوفرة جملة واحدة في بلد واحد. و لو أخذنا بهذا المعيار الواسع فإنه يصبح علينا تسجيل تحفظات على الديمقراطية في بلد كالسويد مثلا، حيث يسود حكم البلاد نوع من الاشتراكية

الاجتماعية، التي تقيد الحرية الاقتصادية للأفراد، و في دولة أخرى كفرنسا، كانت الحكومة تحتكر البث التلفزيوني إلى وقت قريب، كما أن بريطانيا ما زالت تصنف على أنها دولة ذات هوية دينية.

أما الابتعاد بشكل جوهري عن القيم الليبرالية في الكثير من الديمقراطيات خارج نطاق أوروبا فأمر مفهوم، و يعود إلى تدن تقليدي و موروث اجتماعي يفرض قيودا استثنائية على الحريات المدنية و الاجتماعية، و لكن ما هو السر في تراجع القيم الليبرالية من دائرة الشؤون العامة في بلدان شهدت مولد الليبرالية ! و صارت عنوانا لها، و أعني هنا الدول الأوروبية؟

و من دون الحاجة للخوض في تفاصيل كثيرة، فإن هنالك اتفاقا عاما بين المحللين على أن أزمة الديمقراطية الليبرالية هي صناعة أوروبية، على الرغم من أنها تبدو ثمرة عوامل خارجية؛ ففي التحليل العميق لما يبدو ضغوطا خارجية سنكتشف أيضا عوامل ذاتية يمكن إجمالها في التالي:

1- فشل سياسات أحزاب الوسط سواء من اليمين أو اليسار و الذين توحدوا خلف لافتات عامة يمكن اختصارها في عنوانين رئيسيين: الديمقراطية المسيحية التي مثلت وسط اليمين، والاشتراكية الديمقراطية التي مثلت وسط اليسار.

علما ان الأحزاب التي تصنف تحت هذين العنوانين قد حكمت أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، و اعتمدت نمطين متتاليين من السياسات الاقتصادية و الاجتماعية، و كلا النمطين كان يعتمد مبادىء الليبرالية و دعم غير محدود لسياسات اقتصاد السوق و مبادىء الحريات الاجتماعية و الفردية، و تقليص دور الحكومات في الحياة العامة إلى أقصى الحدود. حيث تم اعتبار العمالة التامة العمود الرئيسي في اعمام نمط دولة الرفاه. هذا و قد حققت هذه السياسات نجاحا أوليا باهرا في مواجهة النمط الشيوعي و الاشتراكي في شرقي أوروبا و الاتحاد السوفياتي، ثم تسارع التوجه نحو الاندماج الأوروبي و خاصة في المجال الاقتصادي على أساس تماثل السياسات و القيم الليبرالية. لكن لم يتم الانتباه بشكل مناسب

> **أزمة الديمقراطية الليبرالية هي صناعة أوروبية، على الرغم من أنها تبدو ثمرة عوامل خارجية**

على ما كانت تقتضيه هذه السياسات من أعباء على كاهل دول تتفاوت في مواردها من جهة، و من جهة أخرى تفاقم ظاهرة التضخم المتراكم من جراء التوسع في الانفاقين العام و الخاص، و شيوع نزعات الاستهلاك. و توحد اقتصاد الدول الاوروبية بسبب الحدود المفتوحة جعل الاقتصاديات الأقل حظا أسيرة سياسات إجبارية تقوم على التوسع في الاقتراض في الداخل و الخارج، و هكذا وجدت بعض الدول الأوروبية نفسها على شفير الإفلاس، الأمر الذي أجبرها مجددا على سلوك سياسات سيئة

بالنسبة للجمهور، و في مقدمتها التقشف و فرض المزيد من الضرائب مع ما ينتج ذلك من زيادة البطالة و الدخول في أزمة ركود اقتصادي شامل. ثم جاءت الأزمة المالية العالمية 2008م- 2009م لتصبح القشة التي قصمت ظهر البعير. فقد اضطرت الاقتصاديات الأوروبية الكبرى إلى إنقاذ اقتصاديات دول بعينها لأسباب تتعلق بالمصالح و التأريخ، فيما ظلت اقتصاديات أخرى و خاصة في أوروبا الشرقية تواجه صعوباتها بنفسها مع قليل من العون الذي تفرضه قوانين الاتحاد الأوروبي، ولهذا السبب لم يكن مفاجئا أنه من شرقي أوروبا بالذات تنطلق أقوى موجات اليمين المتطرف المعادية للقيم الليبرالية.

2- العولمة و مقتضياتها هي من فتحت الأبواب أمام قدوم البضائع و الأشخاص، و في المقابل مغادرة قطاعات قائدة في الاقتصاد و الصناعة. و يمكننا القول أن العولمة بمعناها العام، ولدت مع ولادة المجتمعات البشرية، و تعززت كمفهوم مع ظهور الأديان الإبراهيمية، التي اعتبرت رسالة للبشرية جمعاء، لكنها أخذت بعدا على يد الشركات متعددة الجنسية، التي واكبت موجة الاستعمار الحديث منذ بواكير القرن السابع عشر، ثم اتخذت مسارا استراتيجيا جديدا بعد الحرب العالمية الثانية، و تأسيس الأمم المتحدة، و ما تلاها بعد ذلك من ثورة الاتصالات و نشر الثقافة و القيم الليبرالية، باعتبارها خاتمة التأريخ، كما ادعى الكاتب الأمريكي فوكوياما ، و هكذا تم تخفيف أو رفع القيود على حرية التنقل، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث دخل العالم حقبة جديدة اتسمت بالعديد من التناقضات التي نجمت عن عملية محاولة إعادة صياغة النظام العالمي على وفق المصالح للدول الكبرى و في المقدمة منها أمريكا.

و في إطار البحث الدائب عن توفير منتجات أقل كلفة بدأت في العالم الغربي هجرة القطاعات الصناعية القائدة إلى حيث تتوفر العمالة الرخيصة و موارد الطاقة، فظهرت قوى صناعية جديدة مثل الصين و الهند و البرازيل و الإرجنتين، التي تمكنت من إغراق العالم بمنتجات رخيصة الثمن، و اصبح ذلك توجها عاما بحكم قانون ريكاردو للأكلاف المقارنة، و لكن مقابل ذلك أصبحت اليد العاملة في العالم الصناعي المتقدم تعيش على هاجس البطالة و تقلص عدد الوظائف التي هاجرت مع المنشآت الصناعية التي تركت بلادها الأم في الغرب.

كما إن إعادة صياغة النظام العالمي على نحو اناني و مصلحي للدول الكبرى ، قد زادت من فرص ظهور النزاعات و الحروب بالوكالة، و هذا يعتبر ثمرة طبيعية ناجمة عن إعادة التوزيع و الإستئثار بمراكز القوى العالمية، و كان الوطن العربي و العالم الإسلامي أكثر المناطق هشاشة ، و جذبا للمنازعات الدولية ، و محاولات السيطرة و التحكم بمقدرات هذه الاوطان، و نجم عن ذلك تفجر الاوضاع الى حد النزاعات المسلحة و الحرب الأهلية في أكثر من قطر عربي و إسلامي، أنتجت ملايين من النازحين و المهجرين ، واجبرت سيول

المهاجرين الى الاندفاع خارج أوطانهم ، حيث يمموا وجوههم شطر أوروبا بحكم حتميات الجغرافيا. حتى أصبح هؤلاء يشكلون ظاهرة كبيرة على مستوى الحياة العامة في أوروبا.

هذه الظواهر المستجدة و غيرها، أثرت بشكل مباشر بالشرائح متوسطة الدخل، و قليلة التعليم في المجتمعات الأوروبية، و التي اعتقدت أن هنالك ضرورة لوجود حكومات وطنية قوية قادرة على التعامل مع ظاهرة هجرة الاجانب الى اوروبا، حيث اعتبرتها السبب الرئيسي لتقلص فرص العمل، كما اعتبرت أن إغراق الأسواق بالسلع المنافسة الرخيصة القادمة من وراء البحار سببا رئيسيا لتعثر الصناعات الوطنية، الأمر الذي فاقم من مشكلة البطالة. و بتأثير هكذا خطاب أناني و عنصري تزايدت قوة و اعداد القطاعات الشعبوية من أحزاب أقصى اليمين المتطرف، و تقلصت فرص فوز الأحزاب الليبرالية بسياساتها المعروفة.

3- لقد تزامنت موجة العولمة و فشل السياسات التقليدية لأحزاب الوسط من اليمين و اليسار مع تفاقم ظاهرة الإرهاب العالمي ذي الهوية الإسلامية المزعومة، كما أرادت أطراف معينة أن يبدو الإرهاب و كأنه ظاهرة مرتبطة بالدين الإسلامي من دون غيره على وجه الخصوص، و هنا لا ارغب البحث في تفاصيل ما صار يعرف بارهاب الحركات التي تدعي أنها إسلامية، و من أوجدها ؟ و من يقوم بتمويلها؟ لتحقيق اغراض معينة أبعد ما تكون عن خدمة الاسلام و المسلمين، لكن اكتفي بالإشارة الى ما اصبح من المعلوم أن النشاطات العدوانية التي مارستها الدول الكبرى بضمن ذلك تدخلاتها العسكرية و مساندتها الاحتلال الصهيوني لأراضي الفلسطينيين و الإصرار على طرد شعب من أرضه و إبقائه في اللجوء و المنافي، قد عمق من هذه الموجة اليمينية الاوروبية المتطرفة ، ومن ردود الفعل ضد الدين الإسلامي ، حيث قد ترجمت نفسها في صناديق الانتخابات لصالح الحركات الشعبوية المعادية لمفاهيم الليبرالية التقليدية، و أضافت زخما لدفع الإدراك الأوروبي العام نحو اليمين و التطرف و السلطوية.

4- لقد ارتبط النمو الاقتصادي و نموذج الرفاه بمفاهيم الليبرالية السياسية، و قد اعتبرت الحكومات الديمقراطية الليبرالية هي الأقدر على إدارة الحياة العامة بتقليص تدخلها في إدارة الحياة الاقتصادية و العامة و دعمها للحريات الاجتماعية و المدنية، إلا أن تعثر الحكومات التقليدية و فشل سياساتها في معالجة أزمات الركود، التي بدأت تشهدها القارة الأوروبية من جهة، و ظهور الصين المدوي على الساحة الاقتصادية الدولية زيادة على نجاح تجارب كوريا الجنوبية و سنغافورة في عهد الحكومات الرشيدة، التي حكمتها قد زعزع الإيمان بالليبرالية و قدرتها على أن تكون الحل المطلق الصلاحية في الزمان و المكان للمشاكل التي أخذت تطرق باب كل بيت من بيوت العامة في أوروبا، و أصبح ذلك عاملا مضافا يشيع جوا من الأمل في حكومات قوية، و لو كان ذلك على حساب بعض الحقوق و الحريات.

5- تصاعد دور الدين في الخطاب العام، و هذه

ظاهرة عالمية تحظى حاليا بالكثير من الاهتمام في الأوساط الجامعية المعنية بالعلوم الاجتماعية. فلم يعد من الغريب أو غير المألوف ذكر الهوية الدينية المسيحية أو اليهودية المسيحية، على الرغم من عدم دقة الأخيرة تأريخيا كمرجعية في القضايا السياسية العامة أو باعتبارها ركنا أساسيا في تأكيد الشخصية الأوروبية العامة و الشخصية الوطنية لمواطني بلدانها.

و في هذه القضية المتعلقة بالهوية الدينية تتم الإشارة إلى التحدي الديني، الذي تفرضه موجات الهجرة الجماعية ذات الأغلبية الإسلامية الكاسحة، و ما يحذر منه بعض القادة الشعبويين من اليمين الاوروبي المتطرف، تحت شعار مخادع هو التصدي لأسلمة أوروبا، والقراءة التأريخية المتأنية تؤكد عدم صواب هذا النداء الشعبوي اليميني المتطرف. فقد كان الدين و الكنيسة مقرات رئيسية في التعبئة الأوروبية الغربية ضد المعسكر الشيوعي خلال الحرب الباردة منذ مطلع الخمسينات، و تقدم لنا تطورات الوضع في بولندا حالة نموذجية في ذلك، حيث كان البابا البولندي الاصل يقف بقوة وراء اسقاط الحكومة و الحزب الشيوعيين في بولندا، كما تقدم لنا قضية التلكؤ الأوروبي في قبول انضمام تركيا المسلمة إلى الاتحاد الأوروبي مثالا آخر وصل الى حد إعلان بعض القادة الأوروبيين أن أوروبا ناد مسيحي و لا مكان لأمة مسلمة فيها. إن تصاعد مشاعر الدين تؤثر إلى حد كبير بقضية النكوص الغربي عن قيم الليبرالية، بل يعتبرها بعض المراقبين عاملا أساسيا في ذلك و لنا أن نتذكر أن مبادىء الليبرالية العامة تمت على خلفية شيوع القيم العلمانية إثر انتهاء موجة الحروب الدينية في أوروبا.

كما هنالك عوامل أخرى لتراجع قيم الليبرالية في الغرب يمكن الإشارة إليها و خاصة قضية تطور التكنولوجيا و الحلول التدريجي للذكاء الصناعي و الحواسيب و الروبوت محل العنصر البشري في العديد من مفاصل الحياة، لكنها



موضوعات ما زالت قيد الدرس للتعرف على تاثيراتها المباشرة في هذا الشأن، لكن المهم أن نتذكر أن تراجع الليبرالية الغربية ليس توجها حديثا، و ليس توجها فرضته موجات الهجرة القادمة من الشرق و لكنها تيار أصيل من نتاج تعقيدات الحياة الغربية ذاتها، أما التأثيرات الخارجية فهي عوامل مضافة و مساعدة لكنها ليست وحدها المنتجة لظاهرة التطرف اليميني الاوروبي، الذي قلّ ما تتم الإشارة إليه، بل يجري تجاهله عن عمد، والصاق تهمة الإرهاب بالآخرين، و خاصة المسلمين.

المتاجرة بالأقليّات لسحق الأكثريات



د. فيصل قاسم
كاتب وإعلامي سوري



قال الرئيس الأمريكي الراحل إبراهام لينكولن: «**تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت، وبعض الناس كل الوقت، لكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت**». لكن مع الاحترام للينكولن، فإن مقولته التأريخية لا تنطبق أبدا على الأقليات في الوطن العربي.

لماذا؟ لأن التأريخ أثبت أنك تستطيع أن تخدعها، وتضحك عليها، وتستخدمها لأغراضك الرخيصة كل الوقت، وهي مستعدة أن تصدقك، وتتحالف مع الخادعين دائما وأبدا.

ولو عدنا إلى التأريخ قليلا لوجدنا كيف كان الاستعمار يتاجر بموضوع الأقليات، ويستخدمها كمخلب قط، ومسوغات لتدخله في البلدان التي كان يريد أن يستعمرها.

لقد أخبرنا التأريخ بأن المستعمرين كانوا بالإضافة إلى استخدام أكاذيب حقوق الإنسان، وهمروجة عبء الرجل الأبيض، ونشر الحرية والديمقراطية، وتحرير الشعوب من العبودية، والتنوير، كانوا أيضا يسوغون تدخلهم في هذا البلد أو ذاك بأنهم قادمون لحماية الأقليات من ظلم الأكثرية. ولطالما تشدقت روسيا بحماية المسيحيين الأرثوذوكس، وتشدق غيرها من المستعمرين الغربيين كفرنسا بحماية هذه الأقلية أو تلك.

والمحزن في الأمر أن ألاعيب الاستعمار كانت الأقليات تتقبلها بسهولة ، فبدل أن تتعايش تلك الأقليات مع الأكثريات كانت تقع فريسة سهلة في شباك المستعمرين، وتتحول إلى شوكة في خاصرة أبناء جلدتها من الأكثريات بحجة أن المستعمر جاء لحمايتها، مع العلم أن المستعمرين كانوا على الدوام يستخدمون الأقليات كحصان طروادة للهيمنة على هذا البلد أو ذاك ونهب خيراته واضطهاد أكثريته.

و على الرغم من أن الأكثريات في وطننا العربي عانت كثيرا من تصرفات الأقليات وقبولها بأن تكون أدوات في أيدي المستعمرين لتحقيق مخططاتهم الشيطانية في بلداننا، إلا أنها

عادت واستوعبتها في المجتمعات العربية، وضمنت حقوقها على الرغم من خيانة بعضها لأوطانها وسقوطها في الحضن الاستعماري.

ومن الواضح أن **الكثير من الأقليات في وطننا العربي لم يتعلم من التجربة الاستعمارية الحقيرة**، بل ظل يطمح للعب دور الخنجر المسموم في صدر البلدان العربية بعد تحررها من الاستعمار. فما أن خرج الاستعمار من بلادنا وحل محله أذنابه من الطواغيت والجنرالات، حتى راح الكثير من الأقليات يعيد الاسطوانة ذاتها، وذلك بالتحالف مع الطغاة ضد الأكثريات.

> **الطُّعم الذي أكلته بعض الأقليات هو تصديق بعض الأنظمة حين قدمت نفسها على أنها حامية لهم**

لقد تمكن أذناب المستعمر من بعض الأنظمة وغيرها من تمرير اللعبة نفسها مع الأقليات، فراح بعض الأنظمة يقدم نفسه للعالم على أنه حامي الأقليات، وذلك كي يدغدغ عواطف المستعمر القديم. لم لا، وقد أثبتت لعبة حماية الأقليات أنها لعبة ناجحة، وبإمكان من يلعبها أن يحقق الكثير من الأهداف من خلالها.

لقد جاء الربيع العربي ليكشف أن الأقليات لم تتعلم أبدا من الحقبة الاستعمارية، لا بل هي متشوقة لتعيد كل فصولها، لكن هذه المرة بالقبول أن تكون مجرد ألعوبة في أيدي الطواغيت الذين ثارت عليهم شعوبهم بعد عقود من الطغيان. فبدل أن تنضم الأقليات إلى ثورات الأكثرية من أجل الحرية والكرامة، راح الكثير منها يتحالف مع الأنظمة الساقطة والمتساقطة بطريقة تذكرنا بتحالفاتها الوضيعة مع المستعمر ضد أبناء جلدتها. لم تع الأقليات أن الزمن الأول تحول، وأن الأكثريات ستنال حقوقها من الطواغيت أذناب المستعمر عاجلا أو آجلا، وأنه من الأفضل للأقليات أن تتحالف مع الأكثريات لا مع من كان يدوسها ويضطهدها، لأن المستقبل للأكثريات مهما طال الزمن.

والمؤلم أكثر أن **بعض الأقليات أكل الطُعم، وصدق أن الطواغيت الذين ثارت عليهم الشعوب هم حماة للأقليات**. لا أدري لماذا لا يرى زعماء الأقليات كيف يتم التلاعب بالأقليات واستغلالها بطريقة مفضوحة رخيصة من قبل الأنظمة الساقطة والمتساقطة، ليس من أجل خير الأقليات، بل فقط من أجل إطالة عمر هذا النظام المتداعي أو ذاك لا أكثر ولا أقل.

و مغفل من يعتقد أن الأنظمة المحاصرة بالثورات تحمي الأقليات، لا بل هي تحتمي بالأقليات، وتستخدمها كفزاعة لاجترار عواطف المستعمر القديم لعله يساعدها على البقاء في السلطة. لقد نجح بعض الطواغيت في الإيقاع بين الأكثريات والأقليات،

وذلك باقتراف الكثير من الجرائم بحق الأقليات، وتحميل المسؤولية للأكثريات.

و ليس هناك أدنى شك بأن معظم الجرائم التي وقعت ضد الأقليات هي من صنع مخابرات الأنظمة الساقطة والمتساقطة. ولو كنت مكان أي أقلية الآن لوجهت أصابع الاتهام بعد أي تفجير هنا وهناك لا للأكثرية الثائرة، بل للأنظمة المحاصرة بالثورات، فهي تقوم بمجازر مروعة من خلال السيارات المفخخة بحق الأقليات، وتنسبها للعناصر التكفيرية، كي تقول للعالم: لسنا وحدنا المستهدفين من قبل التكفيريين، بل أيضا الأقليات. وللأسف الشديد أن هذه الألاعيب الوسخة والمفضوحة ما زالت تمر على الأقليات، مما يزيد في ارتمائها في أحضان المجرمين الذين يستخدمونها كعتلة قذرة لتحقيق غاياتهم الإجرامية.

ياترى أما آن الأوان لأن تدرك الأقليات في الوطن العربي أن **مستقبلها ليس مع هذا الطاغية أو ذاك الجنرال، بل مع الأكثريات من أبناء جلدتها؟** متى تدرك أنهم يستخدمونها للظهور بمظهر حسن أمام العالم الخارجي فقط لا غير، بينما هم ينظرون إليها في أعماق أعماقهم كأدوات قذرة وخناجر مسمومة لمواجهة الأكثريات بها؟ متى تعلم الأقليات أنها ستكون الخاسرة حتى لو بقيت الأنظمة التي تحالفت معها، وهو كحلم إبليس بالجنة طبعا؟ فتلك الأنظمة ستحاول (إذا) بقيت إرضاء الذين ثاروا عليها، وإهمال الذين وضعتهم في جيبها كالأقليات؟ والمثل الإنكليزي يقول: «غالبا ما يعطون الحليب للأطفال الذين يصرخون». وَ **بما أن الأقليات صمتت وتواطئت ضد الثورات، فإنها في كل الأحوال ستخرج من المولد بلا حمص، لا مع كفلائها بخير، ولا مع الأكثريات بخير.**





الأزمة السورية وَ وخزة الضمير العالمي



د. يوسف الورداني

كاتب من لبنان

المجتمع الدولي، المتفق على إختصاره بالجمعية العامة للأمم المتحدة، والمتفق على توصيفها بأنها جمعية لحقوق الإنسان، وهي العاجزة منذ أزمنة طويلة ، إذ أنها تكتفي بأن تستهجن وتدين وتقلق، لأن مجلس الأمن الدولي سلطتها التنفيذية طالما لم يعمل على تعطيل أو منع أي حرب أو مذبحة كبيرة كانت أم صغيرة، نتيجة استخدام الفيتوات المتبادلة، و لأن قرارات الجمعية العامة ليست ملزمة، و لا تملك الوسائل الكفيلة بتطبيق قرارتها الكثيرة ، و هذه التركيبة برمتها ، والجزء الأورو- أميركي منها على وجه التحديد، لذا نحن نرى منذ سبع سنوات عجاف قد وقعت أسوأ الكوارث البشرية بعد الحرب العالمية الثانية فيما حدث ويحدث في (العراق وليبيا واليمن وسورية) ، و التي تشعر بوخزات الضمير أو المواقف الإنسانية، إلا ان حسابات مصالح الدول الكبرى في السيادة والمال والهويات المتقاتلة ومستجدات الإرهاب وطلاسمه والتوظيف له قد طغت و تجاهلت هذه الكوارث و لم تعرها اي أهمية تذكر، و لم تتخذ منها اي مواقف انسانية جادة، لوقف النزيف الدموي و البشري للشعوب العربية في العراق و ليبيا و اليمن و سورية .

لقد زادت تفاصيل ويوميات نكبة السوريين ، على الحد الذي يمكن تحمله في دول الغرب ، لكنها في العموم لن تطمس الحسابات الباردة المبنية على قيمة الجغرافيا التي تدور عليها المذبحة، أو المذابح ونوعية الضحايا ، وبالتالي كان لا بد من سبيل وسطي بين الدافع والرغبة في التدخل لوقف ما يحصل وبين الإستنكاف، وإستطابة الجلوس على الشرفة، وذلك يتم بالإكثار من المواقف الإنشائية ، والواعظة، إزاء الإنتهاكات المسجلة في حق مدنيين عزل إرتكبوا جريمة المطالبة بالحرية والعدالة، في وجه نظام أقام ولا يزال مقيما في مناخات ستالينية وإجرامية تامة !

ثم كان لا بد من رفد ذلك بالإكثار من الضجيج السياسي المخادع، الذي يوحي بالإهتمام ، لكنه لا يغير من مسار المذابح شيئا ، ولم تكن هذه المذابح لتدفع إلى التدخل الجزئي لولا واقعة الإرهاب العدمي والموبؤ، وإفرازاته خارج أرض المعركة ، في أوروبا ، والواصلة تأثيراته إلى الولايات المتحدة الأميركية التي لم تبرأ بعد من حادثة 11 أيلول (2001) زيادة على موجات النزوح إلى القارة العجوز.

إن الإكثار من الحديث عن حل سياسي لأزمة الأقطار العربية المنكوبة يشبه التركيز في تحليل

وقراءة الضربات الصاروخية الثلاثية كعقاب على سلاح بشار الكيماوي ، قبل حصولها وبعدها، بحيث أن الأمرين في خلاصتها مثل زبد البحر ، بل الأمر من ذلك إن الحديث عن حل سياسي ، يطغى على تطهير عرقي مفضوح جرى ويجري في حق مئات الآلاف في الغوطتين واليرموك والزبداني و غيرها، فيما همروجة الصواريخ الأخيرة يوم 14 نيسان 2018 ، غطت على الجرائم ضد الإنسانية التي يرتكبها الأسد بأسلحة محرمة دوليا، فكانت مفاعيل العدوان الأميركي – الفرنسي – البريطاني ، تختصر برسائل تم توجيهها إلى أكثر من طرف **لضبط إيقاع المسار العام للأحداث على النحو التالي:**

1- أن تنفرد روسيا في إدارة الأزمة السورية ، وإن هناك حربا باردة ، بدأت معالمها تتوضح.

2- إخراج إيران وميليشاتها من سوريا.

3- إعطاء ضمانات ميدانية لتركيا ، بعدما ترك الأكراد يشكلون شريط قلق وإضطراب على حدودها مع سوريا ، وقد أعلن البنتاغون الأميركي وقف المساعدات عن قوات سوريا الديمقراطية (قسد).

إن الساحة السورية ، التي إستقدمت الإرهاب من كل صوب، واستعانت ثم رضخت لإملاءات الروس والإيرانيين، ليصبح النظام فيها مجرد شاهد زور على ما يجري حوله.

بينما الإيرانيون ، ينشرون التشيع ويقيمون الحسينيات ويمارسون التغيير البشري (الديمغرافي) جهارا، والروس يديرون دفة الحكم بلا تحفظ، فيحددون مواعيد المفاوضات (سوتشي أو جنيف ومناطق خفض التوتر ، ويعاقبون جنود النظام الذين إنخرطوا في سرقات مخيم اليرموك ، وقاعدة حميميم العسكرية تزداد أبراجها يوما بعد آخر، والقيصر فلادمير بوتين وقد إستشعر قرب إقتسام الكعكة السورية فهو يريد حصة كبيرة وهي البقاء في الشرق الأوسط وفي المياه الدافئة.

وهكذا فإن وخزات الضمير العالمي – هنا- تولد أو تعكس، أو تدل على الشعور بالذنب فكل حصيلتها، تكتيف اليدين والتفرج من بعيد على واحدة من أسوأ الكوارث، إن لم تكن الأسوأ في التأريخ البشري الحديث وفي ذروة العولمة التي تربط الناس والدول شاءت أم أبت برباطها الحتمي في الأسواق والمال والطاقة ، زيادة على الرابط التقني الذي أحدثته ثورة الإتصالات وجعلت الخبر في أي مكان من العالم ، خبرا مباشرا على وسع الكرة الأرضية.

إذن لعلها القياسات الطبقية أو الدينية التي تقيم الدنيا ولا تقعدها إزاء تسميم معارض روسي في بريطانيا فيما لا يعنيها فعليا وضميريا مصير ملايين السوريين و غيرهم من العرب!





و أخيــرا مـاتَ د. برنارد لويس

د. رضوان السيد

كاتب وأكاديميّ وسياسي لبناني

مات د. برنارد لويس أخيرا عن مائة عامٍ وزيادة. وفي السنوات الخمس الأخيرة ما كتب شيئا جديدا، لكنه جدّد طباعة كثيرٍ من كتبه، وبخاصة تلك الكتيبات التي أصدرها بعد عام 2001 م. و (د. برنارد لويس) سبق أن عمل مع المخابرات البريطانية في الحرب العالمية الثانية باعتباره خبيرا في شؤون الشرق الأوسط. والبريطانيون هم الذين نصحوا الأميركيين به خلال عملهم على الحرب الباردة الثقافية في الستينات؛ إذ ما كان عندهم أحدٌ في خبرته في الإسلاميات الكلاسيكية، والتي أراد الأميركيون استخدامها أيضا في مصارعة الشيوعية. ولأنّ الدول الكبرى كانت تحتاج إلى أفكار استراتيجية تتحول بعد الدرس والاختبار إلى «سياسات»، فقد وجدوه مفيدا لهذه الناحية. أما هو فقد اعتبر نفسه منذ البداية خبير أقليات، إذا صحَّ التعبير.

و أثناء الحرب العالمية الثانية كان يحضّر عمله للدكتوراه عن الإسماعيلية ، وهم الأقلية التي أمكن لها بحُسْن التنظيم وسريته أن تُنشئ دولة كبرى هي الدولة الفاطمية، التي صارعت الإسلام السني طوال مائتي عام. أما في السياسات الحديثة، فقد اعتبر د.برنارد لويس الأتراك في التأريخ وفي الحاضر، هم القلة المختارة التي يمكن للغربيين التعاون معها في عالم الشرق الحديث.



ولذلك؛ فإنّ كتابه الثالث موضوعه: تركيا الحديثة، أما كتابه الثاني فقد كان: العرب في التأريخ، اصدره بعد كتابه عن (الحشاشين)، وهي طائفة اسماعيلية نزارية ، انفصلت عن الفاطميين أواخر القرن الخامس الهجري –

القرن الحادي عشر الميلادي، تدعو لإمامة نزار المصطفى لدين الله ، و بالنسبة لبرنارد لويس فتركيا العثمانية على الرغم من صراعها الطويل مع الأوروبيين، ظلّت أقلّ تعصبا من العرب «صُنّاع الإسلام»، وأقلّ تعقيدا من الإيرانيين، الذين اجتمعت فيهم الخصوصيتان المشكلتان: النعرة القومية العريقة، والتشيع الذي يخدم القومية، لكنه على الرغم من إغراءاته الباطنية، لا يستطيع هذا التشيع إقناع الجمهور المسلم، الذي صارت أكثريته سُنية منذ القرن الثاني عشر الميلادي.

وفي الوقت الذي عاد فيه المستشرق البريطاني هاملتون غب من هارفارد الأمريكية إلى بريطانيا، غادر د. برنارد لويس جامعة لندن وقبل كرسيا لدراسات التأريخ الإسلامي بجامعة برنستون الأمريكية . ومنذ ذلك الحين التفّ من حوله شبانٌ كثيرون تحت اسم دراسات الإسلام الجديدة، وتحت اسم الدراسات الشرق أوسطية. وقد قال لي عندما قابلتُه في عُمان عام 2008 م ، إنّ أول رئيسٍ أميركي قابله كان ريتشارد نيكسون؛ ولم أحبَّه لأنه كان مُعاديا للسامية ! وقلتُ له: لكنه هو الذي جلب د.هنري كيسنجر(يهودي و صهيوني) للإدارة، ود. كيسنجر كان شديد الاحترام لك، وقيل إنه كان يستشيرك ! ثم لماذا اخترتَ الإعلانَ عن صهيونيتك إبّان ذلك الوقت، هل بسبب هزيمة العرب عام 1967م؟ فقال: أنت تسميها صهيونية شأن صاحبكم د.إدوارد سعيد، وأنا من عائلة يهودية غير متدينة، وأنا قد اعتبرتُ الدولة العبرية دولة رائدة للحداثة والديمقراطية مثلها مثل تركيا. لكنني ما تحزبتُ لها عام 1967م، إنما بعد عام 1973م، حين استظهرتُ أنّ هناك أخطارا حقيقية على وجود و كيان هذه الدولة.

وكل الشعوب الإسلامية الواقعة تحت وطأة الهوية والخصوصية بسبب مشكلات الاستعمار، يمكن مفاوضتُها ومساومتُها والتوفيق بين الإسلام والحداثة عندها إلاّ (الشعوب العربية)!، أو ما تسمّونها أنتم: الأمة العربية، فدعاة مشروع الدين والدولة في عالم الشرق الوسيط والحديث إنشاء وتطويرا هم العرب، والمساومة «التأريخية» معهم على هذين الأمرين غير ممكنة، حتى لو بدوا جامدين ومتشرذمين وخاضعين.

انظر إلى صلابة السلفيات على الرغم من أنّ العالم كله ضدّها ! ولذلك فقد **فكرتُ قديما بالأتراك كأصدقاء للغرب ولحلف الأطلسي. وفكرتُ في الإسرائيليين باعتبارهم ممثلين لحضارة الغرب وسياساته في المنطقة**. بل إنني فكرتُ لأربع أو خمس سنوات في المسيحيين اللبنانيين، وفي الأكراد. و سألته : ألم تفكر مرة في إمكان مصادقة الأكثريات بعد الاستقلالات، وانتصار أفكار التحرر والديمقراطية؟ قال: لا لم أفكّر، وما كان لذلك داعٍ أو مسوِّغ، ألا ترى أنني كتبتُ في الخمسينات والستينات عن الشيوعية والإسلام باعتبارهما فكرتين! أوآيديولوجيتين شموليتين يمكن أن تتحالفا؟ وقلتُ له (وهذا الحوار كله في التلفزيون العُماني):

أريد أن أعودَ إلى رهانكَ على الأتراك، وأين صار بعد ظهور أردوغان ونزعته الإسلامية؟ لكنْ قبل ذلك: كيف توصلْتَ إلى المقولات المذكورة في دراستك أواخر الثمانينات عن جذور الغضب الإسلامي، والتي صارت أساساً في مقولة هنتنغتون عن صدام الحضارات؟ فقال: أنا من القلة الذين لم يخلطوا بين طبيعة الإسلام - كما فعل د.صاموئيل هنتنغتون - والتطورات التأريخية. فليست هناك طبيعة عنيفة للإسلام أو لأي دين آخر. لكنّ إكراهات التأريخ وتطوراته هي التي تنصر هذا الميْلَ أو ذاك أو هذا التيار أو ذاك. والقومية اللابسة لبوس الفصام مع الآخرين أو لبوس الدين هي فكرة شريرة، سواء أحملتها الأقليات مثل اليهود والأكراد والأرمن، أم حملتها شعوب كبرى مثل العرب والإيرانيين والهنود والصينيين.

ولو بقي قيادُ ما يسمى بالإمبريالية في أيدي البريطانيين لما توتّرت القوميات والهويات في آسيا وأفريقيا، بحيث خربت العالم بعد التخريب القومي النازي. و الآن **الأميركيون تسلموا القياد والقيادة وهم لا يحسنون الإستعمار. فهم يجربون كل شيء حتى يصلوا إلى الممارسة الصحيحة أو الملائمة، لكنهم عندما يصلون لذلك يكون الخراب قد وقع**، ولا يمكن إصلاحه. أنظر إلى ما يحدث في العراق الآن (وكان هذا سنة 2008م)! و انا قد كتبتُ في «جذور الغضب»، وفي الكتب اللاحقة إنّ الأزمنة الحديثة أطلّت على المسلمين وهم تحت وطأة الإستعمار، ويكرهون الفشل الذين هم فيه بسبب الغلبة الغربية، ويحسدون الغرب على نجاحاته، وينسبون فشلهم إلى تلك النجاحات. ولذلك ظهرت بينهم، وبخاصة (العرب) نزعات التشدد والإنتحارية.

وعندما كتب د.صاموئيل هنتنغتون مقالته في خريف عام 1993م، وطوّرها إلى كتاب (صراع الحضارات) عام 1996م، واستشهد بي وبغيري جادلْتُه من دون أن أستطيعَ إقناعه. وقد دأبتُ بعد ذلك على الضرب على الوتر نفسه: التطورات التأريخية، وليس طبيعة الدين، وضرورات الإصلاح بداخل الإسلام الحديث، وليس إتهام الموروث كل الوقت، كما فعل مفكروكم اليساريون! وأعترف بأنني لم أنتظر ذلك كلّه أو لم أتوقّعه، وأنا خائفٌ من المستقبل على الغرب في الشرق، وعلى الشرق في الشرق، وعلى الدولة العبرية التي لم تعد رائدة. وقد سقط رهاني على الأتراك، كما أني لم أتوقعْ ظهور دولة دينية في إيران، بل حسبتُ أنه ستكون هناك محاولاتٌ لذلك فيما بين السعودية ومصر وباكستان.

والغرب الأميركي عينُهُ على هذه التطورات؛ لذلك هناك المزيد من الحروب التي ستحدث، بحيث لا يعود التميزُ ممكناً بين الفعل وردّ الفعل. وستتدخل أطرافٌ كبرى ووسطى وفي حسبانها أنها تدافع بذلك

عن نفسها. أما **أوروبا ربّة هذه الحضارة فقد صارت عاجزة، وهي كما سماها وزير الحرب الأمريكي رامسفيلد: قارة قديمة. فخسارة العالم الكبرى اليوم هي في خسارة أوروبا**

وقلت له: إذا كنتَ تعتبر تأثيرك ضئيلا أو متضائلا في السياسات والاستراتيجيات، فماذا عن الاستشراق الجديد، وماذا عن الإسلاموفوبيا؟ فقال: ما عاد هناك استشراق، وما اعتمد العالم الغربي والعالم بعامة أبدا على رؤى المستشرقين في معرفة العرب والإسلام.

بخلاف ما زعمه د.أدورد سعيد في كتابه عن الاستشراق. ولست مسؤولا بالطبع عن نزعات التفكيك والنفي التي تسود الدراسات عن القرآن والإسلام، فأنا مستشرق كلاسيكي، وهذه هي كتبي في التأريخ الإسلامي، ولا شيء فيها مما قاله المستشرقون (وانسبورو) و(كرون) و(كوك). وأنا أقل مسؤولية بالطبع عن الإسلاموفوبيا، فتأثيري هو في الأوساط الجامعية، والإسلاموفوبيا شعبية تبسيطية تخيف كل العقلاء، بقدر ما تخيفكم الأصوليات العنيفة في دينكم أنتم أيها المسلمون! وبموت د.برنارد لويس ينتهي الاستشراق الكلاسيكي الذي صرنا ننعاه كلما مات أحد كبار دارسيه مثل هاملتون غب ومونتغومري وات. وبسبب الثورات في العلوم الاجتماعية والإنسانيات ظهرت التفكيكيات وظهر المراجعون الجدد وأصوليو ما بعد الحداثة. وفي عالم التفكيك هذا انتشرت القطائع والعصبيات والحروب الدونكيشوتية القاتلة التي يتنافس الأميركيون والروس على إثارتها ثم على محاولات إخمادها فهل يكون الاختلال في الدراسات الجامعية متوازيا مع الاختلال في سياسات الدول وممارساتها؟ ربما قد يكون ذلك وقد لا يكون، إنما هذا هو الذي حصل؛ وعلى طريقة ابن خلدون نستشهد بقوله تعالى: (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) صدق الله العظيم



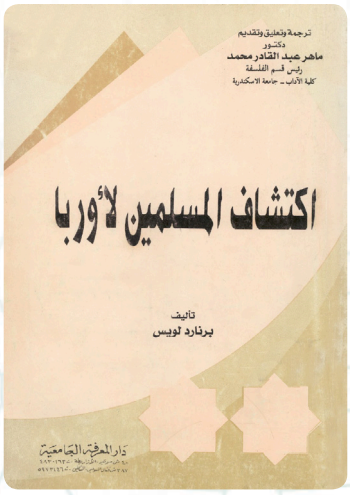

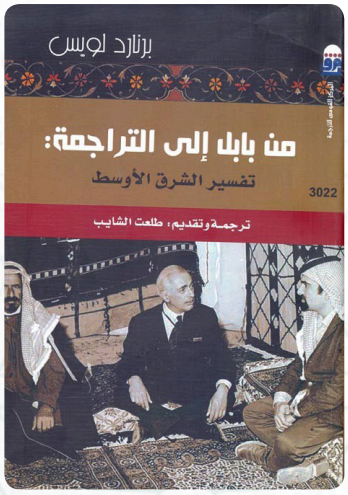



من روائـع الشــعر

مناسبة ذكرى الأسراء والمعراج



الشاعر محمد أبو علي

بروفيسور ، عميد كلية الآداب سابقا

أسْرى به الرحمنُ ...ماجَ الكَوثرُ ... بمحمّدٍ تشفى القلوب وتبصرُ

يفترُّ ثغْرٌ للجهاد على الثغور ... الناحبات ، ويستفيقُ الأخضرُ

فيمورُ في الأرض المباركة المدى ... ويفيض من ذِكْر النبيِّ المِحْجرُ

ويهيمُ صبٌّ بالشهادةِ مولَعٌ ... تهواهُ في دَعة الجنانِ الأنهرُ

قرأ الكتاب، فشاقَهُ خلْدٌ... إلى ... الأقصى مضى، فهنا الطريقُ الأقصرُ

وهفا لشوقِ الحِبِّ يصدقُ حِبَّهُ ... فهَمَتْ غماماتُ اللِّقاء تكبِّرُ

أجفانهُ نخْلُ الصحارى ممْرِعا ... رُطَبا جنيّا تشتهيه الأعصرُ

بكْماءُ ذاكرةُ الخيولِ...فهزَّها ... بهتاف"أللّهُ"...فصاحتْ "أكبرُ"

والسّيفُ آبَ إلى الصليلِ مُحَدِّثا ... عن قبضةٍ تروي اليَبابَ،فَيُذْعَرُ

والرَّمْلُ في الصحراءِ يقرأ حَرْفَها ... خصبا لبوصلةِ الفصولِ، فتُزْهرُ

في القدسِ في مسرى الرسولِ غمامةٌ ... بشذا المعارجِ من دمانا تقطرُ

تسعى لمعتصمٍ تلوذُ بهِ سدى ... واحسرتى...لا من يحسُّ ويشعرُ

يا سيّدي:عشقوا الظّلام فليسَ مِنْ ... مِنْ صدّاحِ فجْرٍ بالصّباحِ يبشّرُ

مسراكَ وعْدٌ والمعارج قِبْلةٌ ... إنّا إلى قرْبِ الصباحِ لَنَنْظُرُ


وَليسَ الذي نبتغيه مُحالاً
وَليسَ الذي رُمتُمُ مُمكِنا

من روائـع الشــعر

لمناسبة نكسة حزيران 1967
عسى ان تذكرنا، فنستفيد و نعتبر !





مقتطفات من قصيدة للشاعر

نزار قباني

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغةَ القديمه
والكتبَ القديمه
أنعي لكم
كلامَنا المثقوبَ، كالأحذيةِ القديمه
ومفرداتِ العهرِ، والهجاءِ، والشتيمه
أنعي لكم.. أنعي لكم
نهايةَ الفكرِ الذي قادَ إلى الهزيمه

إذا خسرنا الحربَ لا غرابهْ
لأننا ندخُلها
بكلِّ ما يملكُ الشرقيُّ من مواهبِ
الخطابهْ
بالعنترياتِ التي ما قتلت ذبابهْ
لأننا ندخلها
بمنطقِ الطبلةِ والربابهْ

السرُّ في مأساتنا
صراخنا أضخمُ من أصواتنا
وسيفُنا أطولُ من قاماتنا

خلاصةُ القضيّهْ
توجزُ في عبارهْ
لقد لبسنا قشرةَ الحضارهْ
والروحُ جاهليّهْ

بالنّايِ والمزمار
لا يحدثُ انتصار
كلّفَنا ارتجالُنا
خمسينَ ألفَ خيمةٍ جديدهْ

لا تلعنوا السماءْ
إذا تخلّت عنكمُ
لا تلعنوا الظروفْ
فالله يؤتي النصرَ من يشاءْ
وليس حدّادا لديكم.. يصنعُ السيوفْ

يوجعُني أن أسمعَ الأنباءَ في الصباحْ
يوجعُني.. أن أسمعَ النُّباحْ
ما دخلَ اليهودُ من حدودِنا

وإنما
تسرّبوا كالنملِ.. من عيوبنا

كان بوسع نفطنا الدافق بالصحاري
أن يستحيل خنجرا
من لهبٍ ونارِ
لكنهُ
واخجلةَ الأشرافِ من قريشٍ
وخجلةَ الأحرارِ من أوسٍ ومن نزارِ
يراقُ تحتَ أرجلِ الجواري

لو أحدٌ يمنحني الأمانْ
لو كنتُ أستطيعُ أن أقابلَ السلطانْ
لقلتُ لهُ: يا سيّدي السلطانْ
كلابكَ المفترساتُ مزّقت ردائي
ومخبروكَ دائما ورائي
عيونهم ورائي
أنوفهم ورائي
أقدامهم ورائي
كالقدرِ المحتومِ، كالقضاءِ

لو أننا لم ندفنِ الوحدةَ في الترابْ
لو لم نمزّقْ جسمَها الطَّريَّ بالحرابْ
لو بقيتْ في داخلِ العيونِ والأهدابْ
لما استباحتْ لحمَنا الكلابْ

نريدُ جيلا غاضبا
نريدُ جيلا يفلحُ الآفاقْ
وينكشُ التأريخَ من جذورهِ
وينكشُ الفكرَ من الأعماقْ
نريدُ جيلا قادما
مختلفَ الملامحْ
لا يغفرُ الأخطاءَ.. لا يسامحْ
لا ينحني
لا يعرفُ النفاقْ
نريدُ جيلا
رائدا
عملاقْ

يا أيها الأطفالْ
يا مطرَ الربيعِ.. يا سنابلَ الآمالْ
أنتمْ بذورُ الخصبِ في حياتنا العقيمهْ
وأنتمُ الجيلُ الذي سيهزمُ الهزيمهْ



اللغة الأم وَ اللغة الثانية



د. ربى شـعراني
أستاذة جامعية من لبنان

تستطيع اللغة الثانية أن تنمو اذا كانت اللغة الأولى مستمرة في التقدم. فاللغة الأولى هي التربة الخصبة لتشكل اللغة الثانية. ففي هذه اللحظة يصبح الطفل مزدوج اللغة في مدة قصيرة. فبقدر ما ينمي المهارات اللغوية والادراكية في اللغة الأم، تستقي اللغة الثانية من هذه المهارات لتنمو بدورها وتصل الى مستوى عال من الكفاءة. فإذا كان إكتساب اللغة الأم لم يكتمل بعد، لا سيما على صعيد تكوين المفاهيم، لم تجد اللغة الثانية أساسا متينا يكفي لتستقر به.

هل يمكن نسيان اللغة الأم؟

هل يمكن نسيان لغة تعلمها المرء وهو طفل؟ لا سيما اللغة الأم ؟ إن هذا التساؤل مقبول عندما يعيش الإنسان في بلد تكون فيه لغة الأكثرية هي اللغة الثانية. فإذا تعرض طفل ما الى لغة ثانية مسيطرة وكان لا يمارس لغته الأم بشكل كاف، فإنه يتعرض لخطر جدي وكبير من حيث إضعاف تلك اللغة، حتى إنها قد تنسى. و إذا بقيت اللغة نشيطة حتى المراهقة فهناك فرص قوية كي تبقى مكتسبة، حتى بعد انقضاء عشرات السنين في محيط تسيطر فيه لغة ثانية.

ومن الممكن أن تبقى اللغة الأولى في الدماغ لكنها لا تعود مرئية بالطرق الحديثة للرنين المغناطيسي. فإنه من المحتمل كثيرا أن تعود اللغة المنسية لتنشط ثانية بعد تدريب. وهذا يعني أن فعالية تعلم اللغة الأم لهؤلاء الأشخاص تتم بسرعة أكبر من الذين لم يقوموا بتعلم هذه اللغة بتاتا. وبقدر ما يكون الطفل صغيرا حين تضعف لغته الأولى يكون نسيان هذه اللغة أسرع ولا عودة فيه. و كل من يبحث في هذا المجال يتفق على القول إن نسيان اللغة الأولى يمكن أن يكون كاملا، إذا أصبحت لغة ثانية مسيطرة قبل الثامنة من العمر أو التاسعة. و إن هذا الحد من العمر يتفق و العمر الذي فيه الطفل يكتسب القراءة والكتابة بصورة طبيعية .

التأخر في اللغة

قد نهمل الأسباب الحقيقية حين ننسب مجرد تأخر لساني إلى ازدواجية اللغة. حيث إن أحد الأسباب المألوفة لتأخر اللغة هي

الإلتهابات الأذنية المتكررة، والتي لا ينتبه عليها الوالدان. إذ إنها تسبب غالبا إنخفاضا في السمع، فالطفل الذي لا يستطيع أن يكرر بشكل صحيح النبرات التي لا يميزها، قد يواجه مشكلة النطق غير الدقيق و التأخر في التعلم.

اللغة الثانية واضطرابات لغوية أخرى

إن التأتأة هي مشكلة في " آلية الكلام" يشكو منها الصبيان بين الثانية والخامسة من العمر، بنسبة أربعة أضعاف أكثر من الفتيات. و تنسب هذه التأتأة في بعض الأحيان إلى ازدواجية اللغة ويكمن العلاج حينها بحذف اللغة الثانية.



إن الأشخاص الذين يتأتئون هم سريعو التأثر بالتوتر والتعب والإنفعالات. ويمكن لازدواجية اللغة أن تساهم في التأتأة إذا كانت تشكل بالنسبة إلى الطفل توترا إضافيا. أما الطفل الذي لديه استعداد للتأتأة فإن إدارة اللغات بشكل متشنج تزيد التأتأة.

هذا وإن عسر القراءة والفهم هو بلبلة في اللغة، ويعود سببه أحيانا الى إزدواجية اللغة. و الطفل الذي يشكو من صعوبة القراءة، يبدو أنه ليس من الحكمة إدخاله إلى مدرسة ذات برامج مدرسية مزدوجة اللغة.

إن الدافع الأول لطفل ليدنو من نظام لغوي جديد هو الرغبة في التواصل و أشخاص ينطقون بتلك اللغة. كما ان الدافع الإندماجي، والرغبة في التأقلم مع مجموعة حيث اللغة المحكية، هو محرك فعال لتعلم اللغة الثانية.

ويؤكد علماء الإجتماع اللغوي أن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، لكنها كذلك رمز انتماء إلى مجموعة. فإننا نجد هويتنا في اللغة التي نتحدث بها، تلك التي نشارك فيها عددا كبيرا من الناس يسكنون البلد ذاته.

أما حجّة " **الإعاقة اللغوية** " فتستعمل عادة لتفسر وضع الرسوب المدرسي الذي يعيشه بعض الأطفال. علما إن نجاح الأطفال المدرسي يتوقف على المحافظة على اللغة الأم، في الأسرة وفي المسار المدرسي في الحالة المثلى. وللتوصل الى مهارة في اللغتين يجب أن تستمر اللغة الأم عند الطفل في متابعة تطورها.





هل تتمتع بالتشجيع الفكري!

د. مأمون طربيه
باحث و أستاذ جامعي من لبنان

تشير بعض المعطيات الدراسية الى أن 30% الى 50% من الطلاب لا يتخرجون بشهادة جامعية لأسباب متنوعة تبين أن من أكثرها تأثيرا ما يلي:

- ضعف التمكن من المهارات المتعلقة بالدراسة وانعدام الحماس للدرس .
- افتقادهم لمهارة إدارة الوقت .
- عدم تدبرهم لما تتطلبه الجامعة من وثائق وأمور بحثية .
- عدم الحضور الى المحاضرات في مواعيدها.
- عدم تكيفهم والمناخ الجامعي أو الاختصاص.
- عدم سؤالهم للمساعدة قبل فوات الأوان.ئ
- افتقادهم لحسّ المسؤولية بأنهم طلبة وبأنهم في الجامعة لأجل هدف (نيل شهادة) .
- افتقادهم روح الحماس وحس المبادرة .

وهكذا فللبحث عن التشجيع يعني أن تبتعد عمليا وذهنيا عن شئ أسمه: الخسارة، و الانسحاب، و التوقف، و الهوان والبقاء حيث أنت، وعندما يدرك أحدنا أن أمامه مهاما جساما منتظرة سواء في عالم الدراسة أوالعمل أوشؤون الحياة، فلا يتوانى ولا يستخف بما ينتظره أو يستهين بما هو عليه ، لأن هناك معوقات قد تظهر. والمشكلة إذا ما تراكمت جملة معوقات حيث يصعب عليه حلها، عندئذ فقد تحول ونجاحه في أية مبادرة، لأجل ذلك هناك خطوات تحفزّ المبادر وتشجعه يمكن الأخذ بها عند القيام بأية مبادرة :

1) عليك أن تعرف بأن **الأستعداد الجيد** لأية مبادرة لا يحدث من قراءة كتاب عنها أو حضور محاضرة بشأنها أو القيام بخطوة يتيمة خاصة بها، و قد تكون هذه الخطوات جيدة ، ولكنها ليست كفيلة بتحقيق ما تصبو اليه، بل يتطلب الامر جهدا مستمرا وحراكا دائما، الأمر الذي قد يأخذ وقتا شرط أن تتمتع بروح المثابرة والتشجيع.

2) لا تسمح – كمبادر- لأي **معوقات تصادفك** بأن تشل حركتك أو تترك لديك أنطباعا بأنك غير مناسب لما تقوم به ، بل ضع في ذهنك بأنه أذا كانت المعوقات موجودة وهذا شيء طبيعي أن تصادفك، فيجب أن تعرف كيف تتجاوزها..و بأن العقبات جزء من حياة نعيشها، و لا جديد في

هذا الخصوص، بل الغريب أنك لا تعرفه.

3) ضع نصب عينيك معادلة بأن **ما تقوم به هو لك**، وهو لأعلاء شأنك، و لتحسين أمورك ، وَ لإيجاد حالة وجدانية رائعة، وهذا ما سيمنحك عقلا منفتحا وأرادة متوثبة.

4) **آمن بما لديك من قدرات**، و تطلعات، و كفاءات، فمعها يمكنك أن تدرك بأنك ذا شجاعة وأيجابية، وأن بالأمكان تحقيقك أنجازات متنوعة.

5) ردد في ذاتك– عند مواجهتك أية عقبات- أنها **عقبة وليست فشلا**، فثمة فرقا بين العقبات التي تعترضنا والفشل الذي يشلنا..والعقبات يمكن تخطيها وتجاوزها الواحدة تلو الاخرى بعيدا عن تفكيرنا بالفشل الذي يظهر كمدمر للهمة.

كيف تتمتع بعقل مشجع؟

نظرتنا الى ذاتنا تحكمها معتقدات من ذاتنا عن ذاتنا، ومثل هذه الاعتقادات إما أن تكون قاسية بحقك فتجعلك محدود التفكير، وإما أن تكون لينة فتجعلك أكثر مرونة تجاه الموقف الذي تتخذه، وليس كل ما تعتقده عن ذاتك هو العامل المحدد لانطلاقتك نحو مبادرات مفيدة، وإنما نظرة الآخرين وتوقعاتهم عنك تساهم هي الاخرى أيضا بإعادة تعريف ذاتنا. ولنفرض أنت صاحب أختصاص وتبحث عن وظيفة ، وها أنت أمام تفاوض بشأن الراتب المتوقع، وصاحب العمل لن يتكلم إلا بعدما تحدد أنت رقما يتضمن المقابل الذي تريده لقاء عملك لديه، وهنا أنت أمام موقفين: إذا كنت لا تعي قيمة أمكانياتك وخبراتك أو كفاءاتك فقد تطلب راتبا أقل مما قد يغنيك و يفيدك، بينما أذا كنت تعرف حقيقة ما يمكنك القيام به وتعرف كيف تسوّق مهاراتك وقدراتك، فعندها قد تكون في موقع المفاوض الجيد فتكسب أكثر. اذن حاول دائما أن تبين بأن ما لديك له قيمة، وعندما تتهيأ لخيارات عيش أفضل وفرص حياة أكثر أو آفاق عمل أوسع ما عليك ألا أن تتنبه على خطوات منها:

1. **أوجد نظاما داعما لكل خطواتك**، فتيّقن أولا من انك منسجم مع الموقف/ الحدث/ و الفعل الذي تنوي القيام به، فمن يجد نفسه غير ذي معنى وغير مهتم للموقع الوظيفي الذي أُوكل اليه أو يتابع أختصاصا غير محبّذ اليه، فمن الأكيد أن لا يتشجع على المتابعة والقيام بمبادرات ضمن مجالات الدراسة أوالعمل الذي يشغله، لأنه تلقائيا لا يرغب فيه، لكن مثل هذا الحكم غير ثابت فكثيرون يتابعون أختصاصات لا يرغبونها أو يعملون في وظائف لا يتحمسون لها، لكنهم يبادرون الى شؤون مغايرة وينجحون فيها، فما هو السبب؟ و الجواب أنه نظام الدعم الذي أحاطوا به أنفسهم من أصدقاء/ أو من أقرباء/ أو من أشخاص يعنيهم مشروع المبادرة، لهذا لا بد لمن يرغب في النجاح أن يحيط نفسه بأفراد يتمتعون بالحماس، وبالشغف، وبالإرادة المتوثبة دائما، فمثل هذه الحيوية قد تنتقل من واحد الى آخر .

2. **حفّز عقلك دوما بالإمكانية**، بأن تفكر بأنك أنسان ناجح، أذن أنت أنسان ناجح، فمقولة أنا أفكر أذن أنا موجود صحيحة في هذا المقام،

و يفترض بكل منا أن يفكر بأنه سينجح، و سيتفوق،ومثل هذا التفكير سيقود صاحبه نحو الحصول على امكانيات تساعده على النجاح.

3. **استخدم عقلك الناقد**، بمعنى قوّم موضوعيّا كل ما تفكر به أو ما يردك من آراء، بأن تتساءل عن فحوى ما تقوم به وتسأل نفسك الى أين انت متجه؟ أو يمحص أو يدقق أو يقوّم...ما لديه من معطيات بشأن المبادرة التي ينوي القيام بها جيّدٌ بحد ذاته، ذلك أن العقل المتسائل يبين المساوئ والحسنات، الإمكانيات والعوائق، السلبيات والأيجابيات..لهذا حاول أن تستخدم عقلا ناقدا لأن مثل هذا الأمر من شأنه أن يمدك بالحرص على تقديم أفضل النتائج.

4. **استخدم كامل ذكائك**، هل تعلم بأن أحدنا قد يكون ذكيّا أكثر مما يعتقد! مثلما يُقال بأن الأنسان هو جميل بزيادة 20% عن مما هو يعتقد، كذلك قد يكون أحدنا ذكيّا أكثر مما يعتقد بنسبة معينة، فلما لا يستغل أحدنا هذه النسبة الأضافية من خلال أستخدامه لكل خبراته، طاقاته، مهاراته. حيث يصبح ذكاؤك موضع التنفيذ عندما تطور حس المسؤولية تجاه ذاتك وتجاه الاخرين، وعندما تكون أكثر اعتمادا على نفسك، عندما تكون أكثر تمتعا بالشخصية الأجتماعية وعندما تشعر بأنك فعلا ذكي!

5. **لا تتوانى عن الأستمرار في التعلم**، العقل المشجع والمبدع لا يتوقف عن التعلم، دائما هو مستعد لتلقف العلم، فأيا كان عمرك أو جنسك أو موقعك أو قدراتك لا تهمل مهارة التعلم، ولا تقصر عن التردد الى مجالات معرفة أو دراسة أو تدريب أو لقاءات فكر...ففي مكان ما من هذه المجالات ستجد ضآلتك، تقوي بها عزيمتك وتمكنك من أكتشاف طاقات غير مدركة لديك. فقد تبين على سبيل الدراسة عند العاملين في مواقع مهنية متنوعة أن من سبق لهم وحصل على مستوى جامعي أو ذهب الى معهد تعليم عال ولو لسنتين خرج بنتائج هامة على صعيد شخصيته ومهاراته، فواحدهم أصبح:

- أكثر قدرة على أتخاذ القرار.
- لديه الرغبة بتعلم مهارات جديدة حين يسمع عنها.
- يكون بمقدوره تحقيق مواهب وتنظيم مجالات استمتاع أفضل.
- أكثر لياقة بدنية وعافية في صحته.
- يتمتع بروح الأنضباط والمثابرة أكثر من غيره
- أكثر ثقة بالنفس.
- أكثر تقبلا أو تكيفا لاي تغير قد يحصل.

6. **أن تكون أكثر واقعية**، عندما تواجهك أمورٌ غير مستحبة فلا تعقدها وبالتالي لا تستسهلها بل تمتع بعقل بارد قادر على مواجهة التحديات بكل واقعية، وعندها تصبح أكثر طواعية لتصريف الامور شرط أن تقنع نفسك أنه بالأمكان الخروج من المأزق.



مفاتيح للحوار أو المنازعة:
مقاربة إنسانية



د. عماد الحاج أحمد

الإنسان مخلوق إجتماعي بادىء ذي بدء، يُسرّ بالاجتماع و يتماهى مع قضاياه و يتنافس في الإعلان من ضمنه عن الهوية و الانتماء و عن الأهلية الدافعة للتجلي و البروز. فلا معنى للانتماء في وحدة و عزلة عن الغير، و لا معنى للأهلية بدون قوى للتنافس و الصعود، و لا معنى للتجلي بدون منازل سامية يحلو إليها التجلي، و لا معنى للبروز إلاّ في صف من النخبة و المميزين.

و العلاقات الاجتماعية مجبولة على ما في النفس البشرية من الهوى و الأنا و الطمع كما هي مجبولة كذلك على شيء من الحب و الإيثار و العطاء. هي كالنفس تماما حالة بحث عن المعنى و التعريف، حالة تموضع في المجموع، حالة تحديد للهدف و الغائيات. و الأنا البشرية ليست كيانا مجردا إلا عند أهل الفلسفة و التصوف، بل هي عنصر يستلذ بالتماهي مع الغير، بحلوه و مره، بصعوده و هبوطه، بحاله في المعنى و بحاله في التخلي!.

و الكائن الاجتماعي المتوازن يجد نفسه في الوسط المماثل ليكمل النقص في ذاته، و ليكمل النقص في المشروع الباحث عن التكامل صعودا باتجاه نموذج أو مشروع. و هذا هو أبسط تعريف للفرد المنتمي الذي يجد ذاته في فكرة، و للمجموع المنتمي الذي يبحث لذاته عن مشروع. و على النقيض من ذلك نجد الفرد الخائف من الغير، كما نجد الفرد المتخلي عن الذات تماما كما نجد الشرير الذي لا يجد لنفسه موضعا إلا في الكراهية و النزاع.

فالخائف من الغير هو كائن متوحد مريض يهرب من الآخرين، و يبحث لنفسه عن سكن في الكائنات العجماء أو في الطبيعة، أو في الموسيقى الكلاسيكية، أو في التصوف. و كذا الحال في المجموعات الخائفة من الآخرين و التي تختصر فيما يوصف برهاب الأقليات التي ترى في الغير غولا، و تجعله كذلك ساعة لا تجد فيه ما يستدعي النزاع لأتفه الأسباب و بأبشع الطرق؟!.

قد نفهم الخوف من الخصم في العقيدة و الشديد عند اللقاء، و نفهم الخوف من الشرير الحقود البغيض، و نفهم الخوف من المنافس في المصالح و النفوذ؛ لكن لا نفهم الخوف من المتقارب في العقيدة و اللطيف عند اللقاء، كما لا نفهم الخوف من الطيب المحب المسامح. كما

لا نفهم الخوف من المكمل لمساحة المصالح و النفوذ! و الخوف الذي لا معنى له لا يصدر إلاّ عن نفس مريضة أو جماعة مريضة لا تعرف المعنى، و لا تتلمس لنفسها هدفا، و لا وسطا للحضور و البناء؟ فحياتها شك و هروب و حرابة.

و الفرد المتخلي عن الذات هو فاقد للمعنى ابتداء، فهو لديه مشروع وحيد يبحث فيه عن المتعة و الهروب من حال ليس عنده تفسير له، و لا قدرة له على التعبير عنه، و كذلك هي المجموعات اللاأدرية و المسماة بالأحزاب الليبرالية، فتلك لم تؤمن ابتداء بمعنى في الحياة إلاّ بسبب الخوف على الأنا، و لا تملك مشروعا تسعى اليه إلا عشق الأنا، و الخوف على الأنا يجعل دنيا الأنا جحيما ينازع فيه غيره، و عشقها يجعل الحضور مع الغير مجالا للنفي و النزاع و الحرابة ! و قد يجعل الحضور معه مسرحا للنفاق و الخداع و الغدر!.

> **في التنازع جعل العقل مصباحا، وَ جعل الإيمان مرشدا، وَ جعلت الأنانية بلية وَ معها الغرور وَ الكراهية**

أما الشرير فهو الشيطان الفنان الذي عرف نفسه ابتداء بالعدو، و العدو هو من عدت نفسه على الصواب، فهو يتحين الفرص لاختلاق الفتن و ابتداع مسبباتها و هو يتربص بضعاف النفوس لاستئجارهم و تجنيدهم في مشاريعه التخريبية، و هو المتربص بكل بناء فيسعى إلى تخريبه و المتربص بأصحاب المعاني و الرسالات و المشاريع، فيسعى لتخريب بنيانهم و إفساد أتباعهم و تشويه رسالاتهم.

و السؤال المطروح في هذا السياق هو ماذا يكسب هذا الشيطان من هذا العمل؟! كالذي يسأل النار لم تستلذ بالوقود و الحطب! فالعالم إنما بني على توازن الأضداد و تنازع المتناقضات، و هذا هو ميدان الابتلاء المعلن، و هذا هو ميدان التنازع أو التعارف، و هذا هو ساح امتحان الخير و الشر، و هذا هو محط الحساب في يوم الحساب.

و في التنازع جعل العقل مصباحا، و جعل الإيمان مرشدا، و جعلت الأنانية بلية و معها الغرور و الطمع و الكراهية و الحقد و الحسد و الخساسة. فالعقل يحلل الأمور و ينتقي الأفكار و اللبنات المناسبة للجمع و البناء، و ينفي الفاسدة والمفسدة للجمع و البناء، و أهل العقل و إن اختلفوا فلن يعدموا وسيلة للتماهي و اللقاء و لو على بعض خرائط البناء.

و الإيمان يوازن المقاصد و يوازن بين الفاضل و الأفضل و الفاسد و الأفسد و يختار ما قارب المثل و الأخلاق و الفضيلة و ينفي ما دعا للفساد و العهر و الرذيلة و الخساسة. و أهل الإيمان و إن اختلفوا، فلن يعدموا نقاطا للالتقاء في الله، و في الخير، و في الإنسان.



كتابة التأريخ في ضوء تناقضات المؤرخين



د. عماد غورلي

أستاذ محاضر في
الجامعة اللبنانية

التأريخ هو المصدر الأساسي للمعرفة البشرية بأبعاده الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وقد أصبح أحد الأعمدة الأساسية للمعرفة الانسانية كعلم له ابحاثه ومنهاجه ومدارسه الخاصة، لهذا فان العلوم الأخرى قد أصبحت علوما مساعدة للتأريخ، وبالتالي فان الموضوعية والعلمية في التأريخ هي من الامور موضوع الخلاف وتباين الآراء في فلسفة العلوم الاجتماعية، لأن التأريخ لا يمكن أن يؤدي وظائفه هذه، إلاّ من خلال مطابقته للواقع، حتى لا يكون بناء الحاضر والمستقبل على مقدمات تأريخية واهية، من هنا انقسم المؤرخون إلى فريقين: اصحاب النزعة الموضوعية واصحاب النزعة الذاتية.

ما هي المسارات التي تؤدي في نهايتها للحكم على علمية وموضوعية الكتابة التأريخية؟

1- التفكير العلمي في الكتابة التأريخية.

ان التأريخ كعلم هو"المعرفة وادراك الشيء على ما هو عليه" وبوجه خاص "دراسة ذات الموضوع بطريقة محددة ثابتة توصل إلى طائفة من المبادىء والقوانين، وتنصب على القضايا الكلية والحقائق العامة المستمدة من الوقائع والجزئيات"، من هنا كانت الرؤية الخارجية والتناول النقدي للكتابة التأريخية والتساؤل عن ماهية التأريخ من الناحية العلمية، وعن مدى مطابقة علم التأريخ لمواصفات العلم الموضوعي أيضا؟

وكان الإقرار بأنّ التأريخ هو علم ينتمي إلى فرع العلوم الانسانية والاجتماعية، ولا يخضع لقاعدة التجارب كما في العلوم البحتة، كما أنَّه يُقارب الموضوعات التأريخية بالإنسان مما يجعل علم التأريخ متغيّرا أو غير ثابت والتعامل ونتائجه بحتمية أمر غير ممكن مهما كانت متانة المناهج المتّبعة.

وقد طرحت الموضوعية في المقاربة التأريخية، حتى دفعت بأن يطرح مسألة تحتم على المختص (المؤرخ أو الباحث) أن يخرج من دائرته، ويأخذ موقع المتلقي العادي، ولو مؤقتا لنرى كيف يكون التأريخ من منظور المتلقي لكي نقف على مدى مصداقية هذه الكتابة. ولكن في الكتابة التأريخية تتداخل ذات المؤرخ أو الباحث بموضوع البحث إن من ناحية الانتماءات الدينية أو القومية أو المذهبية، أو الفكرية أو الايدلوجية أو من غيرها... وإنّ الحديث عن الموضوعية في الكتابة التأريخية

حول هذا الأمر ضربا من الخيال، لكن يمكن طرح مبدأ أن التأريخ علم نظري، وذلك بالاعتماد على عدد من العلوم المساعدة الأخرى، والتي هي بطبيعة الحال علوم بحتة. وذلك من خلال الوثائق كبرهان تأريخي مع المكتشفات الأثرية مما يكسب نتائجه قدرا من المصداقية العلمية. على أن استنتاجات المؤرخين والباحثين في التأريخ والقواعد النظرية التي يتم استخلاصها لا يمكن اعتبارها علما بقدر ماهي نتائج توصّل إليها المؤرخ أو الباحث عن طريق التأويل والتحليل، وبالتالي فهي عرضةٌ لقواعد الشَّك والنقد، ولا يمكن جعلها قواعد ومقولات علمية يمكن إعتمادها كلية و البناء عليها.

إن التأويل في الكتابة التأريخية يجب أن يبقى في حيز الترجيح، وإنّ مجرد جعله في مكانة الحقائق التأريخية هو أمر يثير الجدل والشك في الموضوعية التي تنشدها الدراسات التأريخية لإكساب الكتابة التأريخية المكانة العلمية الموثوق بصدقيتها، وإن كانت ضمن مقاربة تأريخية نسبية تبعد التأويلات والترجيحات عن مرتبة الحقائق في الكتابة التأريخية الأكيدة والحرص دائما على التقصي والتعليل التأريخي.

2- موضوعية المصادر التأريخية:

إنّ المقصود بالمصادر التأريخية بالنسبة للكتابات المصدرية هي التي عاصر مؤلفها الوقائع التي كتب عنها . فمن اللافت للإنتباه أن نرى أنّ بعض المهتمين في حقل التأريخ يعتبر أنّ كل ما يصدر عن هذه المصادر إنما هي حقائق تأريخية تكفيهم عناء النقد والتحري في صدقية هذه المعطيات، مما يؤدّي إلى أنّ إقحام الكتابة التأريخية والموضوعية في المصادر التأريخية هي موضع شك من جرّاء عدم التثبّت والاستناد اليها والبناء عليها على أساس من الموثوقية المعتمدة وإنما النسبية إلى حد ما وإذا حصلنا على إستنتاجات على هذا النحو فهناك من يتلقفها كحقائق تأريخية ثابتة.

وهنا يجب الإنتباه على هذه المصادر، إنما هي كتابات تأثّرت بالبيئة الحضارية والثقافية للعصور التي كتبت فيها، وهي تتأثّر بطبيعة العصر الذي تعيش فيه سلبا وايجابا، وهذا التأثير المحتوم ينعكس على المعطيات الفكرية، سواء أكانت صيغة هذا التأثير بشكل تقبّل لقيم هذا العصر وأوضاعه ومناهجه ورؤاه، أم رفض لها وتمرّد عليها، وفي كلا الحالتين، هناك تأثير إنفعالي، واسقاطات ظاهرة أو خفية في الرؤية التي يمارسها الباحث أوالمؤرخ تجاه الأوضاع والأحداث التي سعى إلى تأريخها.

من هنا يكون موضوع الحياد فيما كتبه المعاصرون للأحداث مسألة مطروحة للنقاش وهي محل نقد ومحل فحص واستقصاء، ولا يمكن التعاطي معها على أساس أنّها حقائق تأريخية ثابتة ومؤكدة.

وعليه فإن التعامل مع المصادر التأريخية ينبغي أن يُبنى أولا على قاعدة النقد والاستقصاء بوساطة اتباع المنهجية التأريخية في استحضار النصوص القديمة وموازنتها بمثيلاتها المنتمية إلى الحقبة التأريخية نفسها وحتى إلى حقب سابقة أو لاحقة تحريا للدقة والموضوعية.

وبالمحصلة، فان الكتابة التأريخية ومعها الكتابة المصدرية تكون غير مجدية، ولا يمكن أن تحظى بالموضوعية والثقة, إلا إذا ارتبطت بملكة العلمية والموضوعية للمؤرخ أو الباحث، فهو الذي يدرك متى يتخلص من الأهواء الذاتية ويتسلح بالنقد والتساؤل المُحايد، وأن يفهم آراء الغير، وأن يكون

دقيقا في نقل عباراته، فلا يسلم بكل ما قرره باحثون من قبله من آراء، وانما عليه أن يفكر فيها طويلاً، وأن يُحوّل الكتابة التأريخية إلى مادة أقرب إلى العلم منها إلى التقرير الانشائي والتجميع الاعتباطي لنصوص لم تخضع للمقاربة النقدية الصارمة. فهذه بالذات أولى مهام الباحثين في حقل التأريخ.

3- أهمية الافتراض كعامل أساسي على مصداقية الكتابة التأريخية:

إنّ ما يمكن استخلاصه من بعض الكتابات التأريخية، هو نزوع بعض الباحثين أو المؤرخين نحو الطابع التقريري الإخباري في التعاطي والمعطيات التأريخية حتى عند استقصائهم الوثائق. وهذا الأمر يؤدي إلى التأثير السلبي بالعلمية وبالموضوعية المتوخاة في الكتابة التأريخية. كما ان قيام المؤرخ بمقاربات لظاهرة تأريخية معينة من مجرد فرضيات مُسبقة يضعها كمنطلق للبحث، لكن الخطير في الأمر هي مسلكيات المؤرخ في المنهجية المتبعة والتي تظهر عند التأكيد المسبق على فرضيات معينة عند حشد الاثباتات، وتزكية صدقية منطلقاته النظرية، بيد أن المطلوب هو التعامل الموضوعي مع ما يُساق من وثائق تخصّ التحقق من الفرضيات الموضوعية لإثبات صحة المعطيات التأريخية أو دحضها.

إنّ الفرضية في حقل التأريخ، هي منطلق للبحث والتحري الموضوعي، وتستعمل كسلم يرتقيه المؤرخ للوصول إلى استنتاجات ليست موضوعة مُسبقا ولا أن ما تصبح خلاصات نهائية وحقائق تأريخية، يقتبسها باحثون آخرون، ويبنون عليها فرضيات أخرى تُفضي أيضا إلى استنتاجات أخرى، ففي خضم هذا التسابق نحو التوصل إلى حقائق تأريخية جديدة تضيع الموضوعية وتتأثر العلمية في حقل التأريخ تأثرا سلبيا.

4- العلمية وتطور البحث التأريخي:

من هنا نقول أن العلمية ليست عائقا أمام تطور البحث التأريخي، ومما يعكس هذا الأمر هي الوثائق الأثرية التي تكون معطيات محايدة وأقل تأثرا بذاتية المؤرخ وأقرب إلى الموضوعية، وهذه الوثائق المصدرية، إن كانت مدونة أو شفهية، واستنتاجات المؤرخين تحمل عدّة أوجه، ويظلّ الشك والنقد هما القاعدة في التعامل وإياها. ولكن في الكتابة التأريخية التحليلية للوثائق باختلاف أنواعها، تخضع هذه الوثائق للتأويل والشروط الداخلية والخارجية ولذاتية المؤرخ ومدى دقة الفرضيات التي وضعها.

إنّ المنطق في التعامل والظواهر التأريخية في مصادرها ووثائقها ومنهجياتها ومقاربتها على أساس أنها ظاهرة غير مكتملة الحقائق التأريخية، هو أسلوب تشويقي في الكتابة التأريخية، ويفتح أبواب البحث التأريخي على مصراعيها امام المؤرخ نحو ترتيب البحث العلمي ومتابعة التقصّي عن المعطيات التأريخية الحاسمة التي تنهي عملية البحث والتنقيب الدائم المستمر.

وفي ضوء ذلك، تبقى علمية التأريخ عرضة للتدقيق وخاصة في الحقائق النهائية، وهو ما يُعطي لهذا الحقل المعرفي حيويته وقابليته للتطوير والتعديل والتغيير، وإنّ المؤرخ الصادق والعلمي لا يجد حرجا في التخلي عن مقولات تأريخية ثبت بطلانها بوساطة البحث العلمي مما يعزز القناعة للمتلقي بأنّ ما يتوصل إليه المؤرخ هو إنتاج يحظى بالعلمية المُطلقة.

5- في الختام:

حققت الكتابة التاريخية إنجازات هائلة في مضمار المعرفة التاريخية، وبأسلوب البحث العلمي، أي بأسلوب التحقيق والنقد... وإنّ نسبية تعامل المؤرخين من جهة العلمية والموضوعية في حقل التاريخ، انما هي جزء من طبيعة هذا الحقل المعرفي، فالموضوعية هي أمر نسبي في جميع العلوم الاجتماعية والانسانية... وهي تختلف بطبيعة الحال عن باقي العلوم البحتة أيضاً التي تعتمد على التجارب العلمية، وهي ميزة ايجابية تُبعد عن التاريخ صفة الجمود والارتهان للقوالب النظرية البحتة المثقلة بالصيغ التقريرية. وإنّ النظر للتاريخ من هذا المضمار يجعل منه علماً مرناً دائم التجدد باستمرار على أفاق بحتية متجددة لا تستهلك موضوعاته، وهو ما يطرح مفهوم إعادة كتابة التاريخ ومعرفة قيمته بين العلوم.



6- المراجع:

1. السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004.
2. أسد رستم، مصطلح التاريخ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا(بيروت)، 1955.
3. جميل موسى النجار، دراسات في فلسفة التاريخ النقدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2004.
4. ج.هرنشو، علم التاريخ، تعريب عبد الحميد العبادي، دار الحداثة، بيروت، 1982.
5. جوزف هورس، قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت، 1986.
6. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخين، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
7. صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الانسانية، عرض نقدي لمناهج البحث، بيروت، دار التنوير، 1984.
8. عبدالحميد مهورباشة، فلسفة التاريخ، مدخل إلى النماذج التفسيرية للتاريخ الانساني، مركز نماء للبحوث والدراسات، الرياض، 2016.
9. عبدالله العروي، مفهوم التاريخ، جزءان، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1979.
10. قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، مطالب وتساؤلات في صناعة التأريخ وصنع التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1959.
11. لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ، مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي، ترجمة: عائدة عارف وأحمد مصطفى حاكمة، دار الكتاب العربي، 1966.
12. (مجموعة من الباحثين)، المدخل إلى التاريخ، مطبعة هلال، دمشق، 1982.
13. محمد بيومي مهران، التاريخ والتأريخ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992



زكـاة

أمـوالـك .....

اسـتثمار لآخرتـك



للإستعلام: 08622662

دار الفتـوى

صندوق الزكاة - البقاع



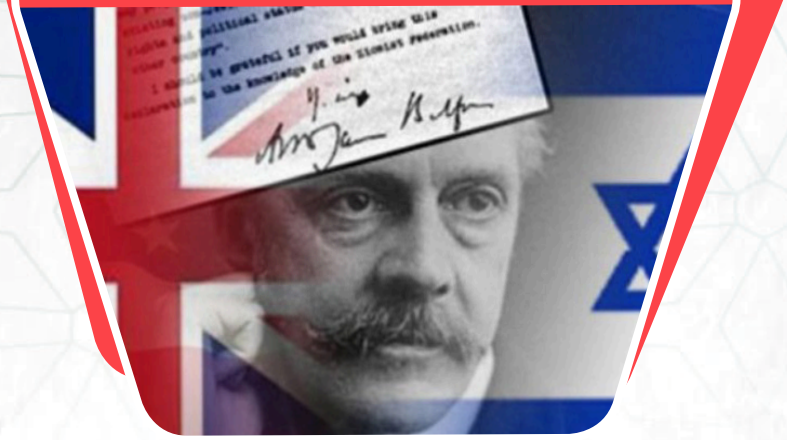

قراءة في كتاب

وعد بلفور وتداعياته الكارثية

عصام مخول كاتب من فلسطين

عن وزارة الثقافة الفلسطينية صدر كتاب:"وعد بلفور وتداعيته الكارثية" للكاتب الفلسطيني سعيد مضية. وكتب مقدمة الكتاب، عصام مخول وفيما يلي ننشر التقديم.

في الكتاب الذي يضعه بين أيدينا الكاتب سعيد مضية في الذكرى المئوية لوعد بلفور بعنوان: "بلفور وتداعياته الكارثية"!، يقدم الكاتب تحليلا متميزا لملامح المؤامرة التي تم إعلانها قبل مئة عام في الثاني من نوفمبر 1917م، والذي هدف منها إلى إخراج الشعب الفلسطيني من التأريخ ومن الجغرافيا سواء بسواء، و"إسقاط دولة الكيان الصهيوني التوراتية في فضاء فلسطين"، وإحلال "شعب" بديل في الجغرافيا نفسها وفي التأريخ والفضاء الفلسطيني الحضاري ذاته كجزء من المشروع الامبريالي النافذ في هذه الحقبة وفي خدمته. وما تزال تداعيات "الوعد - المؤامرة" فاعلة بقوة الى يومنا هذا بعد مئة عام، ليس تجاه فلسطين وشعبها فحسب بل تجاه المنطقة العربية وشعوبها كلها. وحتى تتضح معالم هذا "الوعد - المؤامرة" ولا يساء فهم نواياه ومراميه، فإن وزير الخارجية البريطانية بلفور في رسالة لإزالة القلق و"طمأنة" رئيس وزرائه لويد جورج عام 1919 يكتب مبررا: "إن شعب فلسطين هو الوحيد الذي حرم من حق تقرير المصير (بموجب الوعد ع.م).. وإن الصهيونية أهم بكثير من مصالح ومزاعم سبعمئة ألف فلسطيني يعيشون في هذه الارض العتيقة".

ويشير الكاتب إلى أن وعد بلفور وصك الانتداب الذي اسند اليه انجاز الوعد، يطرح الاسس الصريحة لاستثناء شعب فلسطين من حق تقرير المصير. وأن ما تشهده القضية الفلسطينية اليوم بعد مرور قرن على إصدار "وعد" بلفور هو مواصلة كارثية لهذا النهج.

إن تأريخ المعركة على إخراج الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة من التأريخ ومن الجغرافيا الفلسطينية من جهة، وتتبع معركة

الشعب الفلسطيني البطولية على التشبث بوطنه ومواصلة صنع تأريخه ومعركته التحررية وإصراره على انتزاع حقوقه الوطنية وفي طليعتها حقه في العودة وتقرير مصيره واستقلاله الوطني، وعلى انتزاع مكانته بين الشعوب المناضلة وحركة التحرر العالمية من الجهة الاخرى، هما وجهان للمعركة التأريخية ذاتها التي ما تزال محتدمة وفاعلة ومتفاعلة منذ قرن كامل، "تملأ الدنيا وتشغل الناس" في كل مكان من عالمنا المعاصر وتشكل موضوع هذا الكتاب الهام.

ويرصد الكاتب التطور التأريخي مستنيرا بالموقف التقدمي والوطني المتميز لعصبة التحرر الوطني، التي دعت الى استهداف الاستعمار البريطاني وقواته المحتلة والحركة الصهيونية، وعملت في الوقت نفسه على رسم

> إفشال حركة التحرر القومي العربية، يفتح الباب أمام الهيمنة الامبريالية بالاعتماد على ساقيها الخشبيتين: الصهيونية والرجعية العربية

الحدود الواضحة بين الصهيونية من جهة، وبين السكان اليهود في فلسطين. ومسترشدا بالدعوة التي أطلقها فؤاد نصار القائد في عصبة التحرر الوطني، الى "ضرورة إشراك الشعب بكل فئاته في إدارة شؤونه وفي المعركة لتحقيق آماله الوطنية والإنسانية. والى اعتبار طريق الكفاح الشعبي المنظم ضد الاستعمار وأعوانه في سبيل الحرية، هو طريق طويل ولا شك، ولكن ليس هناك من طريق أقصر منه". لقد كان هذا صحيحا في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، وما زال صحيحا اليوم أيضا.

ووفاء لنهجه التحليلي وانتمائه للفكر التقدمي، وتراث عصبة التحرر الوطني الفلسطيني وتحليلات قادتها المؤسسين وفي طليعتهم فؤاد نصار ود. إميل توما مؤرخ القضية الفلسطينية وصاحب المؤلفين المرجعيين "جذور القضية الفلسطينية" و"الصهيونية المعاصرة" ينجح الكاتب سعيد مضية في كتابه الهام الذي يصدر لمناسبة 100 عام على وعد بلفور، بأن يمسك الثور من قرنيه وهو يموضع الصهيونية في سياقها التأريخي والفكري الصحيح، باعتبارها حركة ولدت من رحم الامبريالية العالمية، وجزءا من مشاريعها الاستراتيجية للهيمنة على الوطن العربي. فالصهيونية كانت وما تزال أداة الامبريالية المركزية لتحطيم حركة التحرر القومي العربية باعتبار إفشال حركة التحرر القومي العربية، يفتح الباب أمام الهيمنة الامبريالية بالاعتماد على ساقيها الخشبيتين: الصهيونية والرجعية العربية، التي اختارت غالبا ان تنافس الصهيونية على كسب ود القوى الامبريالية المتنفذة وخدمة مشاريعها.

ويستند الكاتب الى تحليل عصبة التحرر الوطني، ليموضع مشروع "الوطن القومي اليهودي" الذي جاء وعد بلفور لتثبيته وجاء الانتداب البريطاني لتحقيقه، بصفته مشروعا إمبرياليا أولا – نابعا عن احتياجات مشاريع الدول الامبريالية المتنفذة وعن التنافس المحتدم بينها – فدغدغ هذا المشروع أحلام بريطانيا وفرنسا وألمانيا في القرن التاسع عشر،



وتصاعد الاهتمام به في تزامن مع الانتقال من المنافسة الحرة في الاقتصاد العالمي، الى الاحتكارات، والانتقال الى الامبريالية.

ومن مفارقات هذه المنافسة بين دول الاستعمار الاوروبي أن المشروع الامبريالي البريطاني المتمثل بإعلان بلفور، قد جرى تسريعه بعد سقوط الامبراطورية العثمانية. في إطار المنافسة الاستعمارية على تركة الدولة العثمانية، ونجحت بريطانيا في استباق تحركات ألمانيا الصاعدة وفرنسا، وذلك بمسارعتها الى استصدار وعد بلفور بشأن الوطن القومي اليهودي في فلسطين. واعترف لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية في حينه في كتابه "الحقيقة حول معاهدات الصلح": "بأن بعض ما حفز بريطانيا على إصدار الوعد في هذا الموعد، هي المعلومات التي توالت بأن قيادة أركان الجيش الألماني، ألحت على الأتراك أن يلبوا مطالب الصهيونيين بشأن فلسطين.. وأن الحكومة الألمانية كانت في أيلول 1917 م تبذل مساع جدية للاستيلاء على الحركة الصهيونية".

الصهيونية وليدة المشروع الامبريالي وأداته في المنطقة

وجسدت صحيفة "غلاسكو هيرالد" البريطانية بعد صدور تصريح بلفور في 2 تشرين الثاني 1917 م مباشرة، عمق هذا التداخل بين الصهيونية والامبريالية عندما سجّلت: "من وجهة النظر البريطانية فإن الدفاع عن قناة السويس يتم على أفضل وجه بإقامة شعب في فلسطين ملتصق بنا، وإعادة اليهود الى فلسطين تحت الرعاية البريطانية."! ونقل القائد الصهيوني ماكس نوردو ترحيب المنظمة الصهيونية بلعب هذا الدور العميل

المعد لها في المشروع البريطاني الامبريالي في المنطقة، فأعلن أمام رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج ووزير خارجيته بلفور في العام 1919:" نحن نعرف ما تتوقعونه منا، تريدون أن نكون حرس قناة السويس، علينا أن نكون حراس طريقكم الى الهند عبر الشرق الأدنى، نحن على استعداد لأن نقوم بهذه الخدمة العسكرية ولكن من الضروري تمكيننا من أن نصبح قوة حتى نقدر على القيام بهذه المهمة ".. (ماكس نوردو كتاب "المهمة" ص 57).

إن تتابع اتفاقية سايكس بيكو الاستعمارية عام 1916م و (وعد بلفور) كآلية لممارستها في فلسطين 1917م، وثورة أكتوبر في روسيا التي فضحت مؤامرة سايكس بيكو الاستعمارية السرية لاقتسام المنطقة العربية وتفكيكها وانسحاب روسيا الثورة منها، وصدور صك الانتداب البريطاني على فلسطين في تموز 1921م، ومباشرة الانتداب البريطاني على فلسطين وبدء ممارسته في العام 1923 م بهدف استعمار فلسطين وتجسيد وعد بلفور في إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، توضح جميعها حقيقة أن الكيان الصهيوني لم ينشأ في العام 1948م، بل بدأت يتشكل مع تشكل الانتداب البريطاني وتحت رعايته وبالآليات التي وفرها، كجزء من المشروع الامبريالي في المنطقة خلال عشرينيات القرن الماضي، واكتملت ملامحها في العام 1948.م

وهذا يوضح أن التناقض الاساسي في القضية الفلسطينية هو التناقض القائم بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية وبين الامبريالية ومشاريع هيمنتها.. وبينها وبين الصهيونية بصفتها أداة المشروع الامبريالي ورأس حربته المعنية بالمشروع الامبريالي في منطقتنا والمستفيدة مباشرة منه.

إن تحديد التناقض مع الامبريالية البريطانية والأمريكية لاحقا على أنه التناقض الرئيسي، لا يقلل بأي حال من حدة التناقض مع الصهيونية ومشروعها الاستيطاني العنصري، وانما يضع الصهيونية ومشروعها في سياقه التأريخي والفكري والسياسي الصحيح، كجزء من المشروع الامبريالي وعميل عضوي له.

إن هذا الفهم ينطلق من الاعتراف بالتضحيات العظيمة التي قدمها الشعب الفلسطيني من أجل التحرر والاستقلال، وأن تعثر انتصار قضيته حتى الان نابع من أن مواجهة الشعب الفلسطيني مع الصهيونية كرأس حربة للمشاريع الامبريالية في المنطقة هي مواجهة مع المشروع الامبريالي ذاته، سياسيا وعسكريا واقتصاديا.

وقد اعترف و عبر عن العلاقة البنيوية المتداخلة بين الصهيونية وبين الامبريالية العالمية، الكاتب الصهيوني د. وولف إيرليخ، في كتابه "قوة الفكرة" مستخلصا "أن النشاط الصهيوني يشكل جزءا لا يتجزأ من الاستراتيجية الامبريالية الكونية.. ولا يعني ذلك أنه لا توجد للقيادات الصهيونية ولكبار اصحاب رؤوس الاموال اليهود في البلاد وفي الاقطار الرأسمالية الاخرى مصالح خاصة بهم، كالمصلحة في ترسيخ قاعدتهم المادية في الكيان الصهيوني ، واستغلال جماهير العاملين في البلاد وسياسة التوسع والاحتلال. ان هذه المصالح الطبقية هي التي توجه نشاط



القيادات الصهيونية ومشاريعها. ولكن في نهاية المطاف فإن كل نشاطاتهم وبرامجهم تخضع للإستراتيجية الامبريالية الكونية. وتستطيع هذه البرامج ان تتحقق وتنجح كجزء من الاستراتيجية الامبريالية الشاملة."

هذا هو طابع وعد بلفور ومميزه الاساس وسياقه الفكري والتأريخي، وهذا هو طابع الصهيونية المولودة في رحم الامبريالية والاستعمار، وهو الطابع الذي يتتبعه الكاتب عبر تتبع مفاصل قرن من التآمر على الشعب الفلسطيني والصدام معة لتغييبه وتغييب حقوقه نهائيا.

ان القفز بعيدا عن نقطة الانطلاق هذه في فهم الصراع مع الصهيونية والكيان الصهيوني من شأنه أن يضيع البوصلة وأن يخلط الاوراق، ومن شأنه أن يشوه فهم تأريخ هذا الصراع ومفاصله الرئيسية وتعرجات مشاريع الهيمنة الامبريالية الأمريكية المطروحة اليوم أيضا. وإذا كانت الامبريالية ومشاريع هيمنتها هي السياق وهي الحاضنة للمشروع الصهيوني، ولوعد بلفور ولنكبة الشعب الفلسطيني وللعدوانية الصهيونية المستمرة في المنطقة وللمؤامرات للقضاء على الحقوق القومية للشعب الفلسطيني، ومواصلة الاحتلال والعدوان والقمع، فهل يعول على الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية في هذه الحقبة أن تكون الوسيط الذي يوفر الحل العادل للقضية الفلسطينية ؟!! وهل يعول على الرجعية العربية التي كانت شريكا في المؤامرة على الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني أن تكون حامي القضية الفلسطينية ؟!!

مفهوم التأريخ عند مؤلف الكتاب سعيد مضية

وإذا كان الكاتب قد اختزن في كتابه واستعرض كما هائلا من التفاصيل والمعطيات والأفكار والأبحاث التي تناولت قضية الشعب الفلسطيني ونكبته ومقاومته والمجازر التي ارتكبت بحقه من زوايا مختلفة عبر قرن من الزمن، وتناولت تورط الحركة الصهيونية في التواطؤ مع أكثر القوى رجعية وعنصرية وفاشية على المستوى العالمي بما فيها النازية في ألمانيا، والفاشية في

إيطاليا، وتورط أعتى القوى الامبريالية والرجعية العالمية بما فيها قوى رجعية عربية، في انتاج وعي زائف ونشر رواية تأريخية مزورة تتبنى الرواية الصهيونية وتروج للمشروع الصهيوني و"الوطن القومي اليهودي" في فلسطين ، فإن القيمة المضافة في البحث الذي يقدمه الكتاب للقارئ الفلسطيني والعربي تتمثل أولا، بأن مفهوم سعيد مضية للتأريخ الفلسطيني وتأريخ نضال الشعب الفلسطيني التحرري وحركته الوطنية، هو مفهوم يتسع أولا وقبل كل شيء لتضحيات الجماهير الشعبية، ويؤرخ لبطولاتها ولوعيها المتراكم المناهض على السليقة أحيانا وبالحس الشعبي الصحيح، للامبريالية والصهيونية والرجعية العربية المسئولة جميعها معا وكل واحدة منها على حدة عن نكبة الشعب الفلسطيني وتعثر قضيته.

ويفرد الكاتب في هذا المجال مكانا هاما لدور الانخراط الشعبي الجماهيري في السياسة وفي النضال الوطني التحرري في إحداث التغيير الاجتماعي والقيمي، وخصوصا عندما يتوقف عند دور المرأة الفلسطينية الكفاحي منذ ثلاثينيات القرن الماضي وسنوات ثورة عام 1936 م وأدائها المقاوم، مستندا الى البحث الهام الذي نشرته الباحثة د. فيحاء عبد الهادي حول الأثر الذي تركته تجربة مشاركة "تنظيم رفيقات القسام" في ثورة القسام وفي الثورة الشعبية والفلاحية التي تلتها 1936م- 1939م ويتوقف الكاتب عند الفصول التي رصدت أشكال هذه المشاركة النسائية المتميزة في أعمال الثورة والمقاومة، وهو ما يعيد الى الاذهان تجربة المشاركة الثورية الواسعة التي قامت بها المرأة الفلسطينية في الانتفاضة الشعبية الفلسطينية العارمة التي انطلقت في العام 1987م ضد الاحتلال الصهيوني، وانعكاس هذه المشاركة على مستوى متقدم من مكانة المرأة ومشاركتها وعلى القيم الاجتماعية التقدمية والثورية كلها. مثبتا بذلك أن الانغماس الشعبي الثوري الواسع في النضال الشامل هو المصفاة الاجتماعية لكل ما لحق بمجتمعاتنا من قيم رجعية وشوائب اجتماعية عالقة من الماضي.

لقد أتاح لنا الكاتب سعيد مضية في كتابه القيم، أن نقرأ التأريخ ليس نحو الماضي فقط، وانما ان ننظر الحاضر بمنظار أوضح، وأن نرى إن الانخراط في المشاريع الامبريالية الامريكية في المنطقة اليوم، وتحالف بعض الانظمة الرجعية العربية مع الكيان الصهيوني والتطبيع المجاني معه، والتآمر المهزوم والذي بات مفضوحا وفاضحا على تفكيك سوريا والعراق واليمن وليبيا والسودان، وتبني خطاب التفتيت المذهبي ، تشكل جميعها جزءا بائسا من مشروع الهيمنة العدوانية الامبريالية المتجددة بعد مئة عام على وعد بلفور لتفكيك المنطقة العربية ثانية في إطار سايكس بيكو جديد، واستحداث كيانات جديدة ترفرف فوقها الأعلام الصهيونية، ولكن يبقى بالمقابل، أن طريق الكفاح الشعبي المنظم ضد المشاريع الامبريالية، ومقاومة الشعوب لمؤامرات ثلاثي الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية وحشد التحالفات لمواجهتها، هو أقصر الطرق وأقلها كلفة لنيل الحرية والتطور والكرامة الوطنية والإنسانية.





الإدارة لدى العرب قبل الإسلام

الاستاذ كمال الدين العفش

أستاذ محاضر في جامعة الأوزاعي

كما هو معروف ، أن العرب قطنت ما يعرف بالجزيرة العربية، وكانوا على حالة دائمة من السفر والترحال بحثا عن الأراضي الخصبة ، و كانت لهم أكثر من دولة مدينة في حقب تأريخية عدة ، فالآثار المكتشفة تؤكد أن هناك دولا عربية كانت قبل الإسلام فعلى سبيل المثال، كانت هناك مملكة سبأ في اليمن، و التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ).

و كانت هناك دولة مملكة معين، و مملكة حمير، و مملكة الغساسنة، و مملكة قتبان ، هذا في اليمن، و في العراق هناك مملكة الحيرة على نهر الفرات و سكانها من قبائل اليمن التي هاجرت الى العراق، و هناك مملكة الحضر جنوب مدينة الموصل، و في سورية هناك ممالك العموريين، و كذلك مملكة تدمر ، و كانت لهم مملكة الأنباط و عاصمتها البتراء الموجودة حاليا في الاردن، و غيرها من الممالك، و الآثار المكتشفة من قبل بعثات التنقيب تظهر التشابه بين آثار اليمن و العراق و سورية، و انها من حقب زمنية واحدة ، و قد كتبت بخطوط متقاربة ، و الابجدية المكتوب بها هذه الآثار هي أما ابجدية سميت بالخط المسند، أو ابجدية عربية مشابهة لابجديتنا الحالية و لكن من دون تنقيط، فالتنقيط استحدث بعد نزول القرآن، و لهذا ليس غريبا ان يعرف العرب بإبداعاتهم البلاغية في اللغة وآثارهم الشعرية الخالدة، و قد كان الاسلام عامل تطور تأريخي و حاسم، فبعد انتشار الإسلام اشرقت شمس الحضارة العربية الإسلامية، و من الآثار المكتشفة تبين وجود انظمة ادارية و اقتصادية ، خاصة و ان العرب عرفوا بالتجارة من قديم ، و هذا ما تؤكده أوراق البردي المصرية، و هي أقدم المكتشفات الأثرية في التأريخ الانساني المسجل ، و كذلك بالنسبة للآثار البابلية و السومرية التي اكتشفت في بلاد ما بين النهرين، و الاجماع قائم بين المختصين على ان حضارة وادي النيل و بلاد الرافدين هما اقدم الحضارات الانسانية المكتشفة لحد الآن، و هناك فخاريات عثر عليها في اليمن تظهر وجود عقود تجارية و محاكمات سجلت نزاعات بين السكان العرب امام جهات ادارية و قضائية، كان لها الحق

في الفصل فيما بين المتخاصمين، و كان هناك نظام القبيلة و افرادها تربطهم علاقات قرابة و مصاهرة، و كان عندهم شيخ القبيلة ينتخب و له صفات هي التي تؤهلة لهذا المنصب، و يراعى في ذلك التقدم في السن و التميز من الكرم و الشجاعة و الحكمة ، و شيخ القبيلة يعاونه مجلس يتولى حل المشاكل داخل القبيلة ، والمؤرخ د.علي جواد مؤلف موسوعة المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام يقول: اما اذا كانت المنازعات بين قبيلة و أخرى فقواعد فض هذه المنازعات تختلف عما هو داخل القبيلة، و يمكن القول انها تشبه ما يسمى حاليا بالقانون الدولي، و كان هناك محكمون معروفون يتم الاستعانة بهم في هذه المسائل، كذلك إشتهرالعرب بإقامة السدود للإستفادة من مياه الأمطار، وأشهرها سد مأرب مع ما كان لدولة سبأ من مكانة على صعيد التجارة ، وبلغت مدنها من العظمة مبلغا عاليا حيث تميزت من فن عمارتها ، زيادة على معرفتها بنظم الري وشق الترع وإقامة الأحواض . وبشكل عام كان النظام الإداري لدى العرب قبل الإسلام يرتكز في أنظمة كشفت عنها حفريات الآثار في اليمن والجزيرة العربية وفي سورية والعراق ، وهذا زيادة على الأعراف القبلية السائدة حينذاك .

وذكر بعضهم "**كان (ملأ) مكة يتكون من الكبار فقط، فلم يكف يدخله عادة إلا من بلغ الأربعين**" (1) وصحيح أن العرب القدماء لم يؤلفوا كتابا شاملا عن الإدارة وتطورها ، بيد أنهم وبالفطرة قد مارسوا تطبيقات إدارية قيمة طيلة العصور الغابرة، ودل على ذلك ما تركوه من آثار تنوعت بين أنماط الأثاث وأدوات العمارة وأخرى إستخدمت في الصناعات البدائية وطرق حفر القنوات وتنظيم طرق ووسائل الري وتوزيع المياه واعداد أدوات الحرب والقتال. وقبل الإسلام فإن العرب لم تفتقر إلى الإبداع الإداري لسبب متعلق بالقدرات، ولكنهم خضعوا لردح من الزمن إلى الحكمين ، السساساني والبيزنطي، وقد تأثروا بنظم كلتا الدولتين وبتقاليدهما، فقد كان للدولة الساسانية صفتان رئيسيتان ، **الأولى :**

وجود دين رسمي لها، مرتبط بالسياسة ومتعاون معها، والثانية المركزية القوية في الإدارة)(2)

أما في التقاليد البيزنطية فقد كان رئيس الدولة هو الإمبراطور و القائد الأعلى والمشرع الأكبر، وكان المنصب الإمبراطوري يعطي صاحبه السلطة المطلقة والسلطان المعصوم

ومع هذا كله، فمن الثابت في كثير من الأدلة على إزدهار مدن عربية قديمة كالتي في بلاد اليمن وفي مصر وبابل ونينوى ، وهذا يدل على أن تلك الأمة كان لها شأن كبير في التمدن والإدارة الفعالة ، وذكر في هذا المضمار " هيرودت" بأنه" قبل المسيح بنحو أربعمائة سنة ، كانت بلاد العرب من أغنى بقاع العالم، وأنه كان في مأرب وسبأ قصور نضرة ذات أبواب عسجدية وآنية من ذهب وفضة وسرر من المعادن الثمينة، وأن بيوتها تشابه بيوت مصر في مجموعها ، ناهيك عن الجسور ومساكب الماء المتكاثفة(3) ورجحت مصادر متعددة من خلال الآثار أن الحضارة المصرية التي تضرب في التأريخ لأكثر

من سبعة آلاف سنة، قد أشارت الى العرب ، وهذا أيضا دليل آخر على وجود حضارة عربية راقية أنتجتها إدارة متمدنة متطورة بمقاييس ذلك الزمن القديم، وقد شهدت مصر قبل الميلاد بثلاثمئة سنة حياة رغد ورخاء ، فقد غدت مدينة الإسكندرية مركزا تجاريا وملجأ ثقافيا وأقيمت فيها أبنية ضخمة.(4)



وبالتالي فإن الأمة العربية قبل الإسلام قد كان لها شأن كبير بالتجارة وهو إن دل على شيء فإنما يدل على تمدنها .

والكلام عن حضارة عربية قبل الإسلام لم تخلُ من تطبيقات إدارية ناجحة، أمر واقعي حيث تتم دراسة الإطار الحضاري الذي نشأ فيه الإسلام بما في ذلك ذكر الجذور والأصول والمكونات الخاصة ببيئة الإسلام الأولى، وذلك بغية عدم تكريس فكرة الإنقطاع الحضاري وبالتالي الحذر من إتباع نظرة أحادية تجزيئية.

هذا و قد قدم العرب بعد الإسلام مشروعا نهضويا إلى الإنسانية جمعاء ، مما يؤكد بأن العرب أصحاب رسالة حفظت أهداف الأمة ووحدت عقيدتها ومفاهيمها وصقلت تنظيماتها الإدارية بوساطة تعزيز مبادىء المساواة والتفاضل بالعمل وحرية الفرد وحرمته والتأكيد على الشورى ومحاولة ترسيخ الإقتصاد والإدارة المتينين تحقيقا للسيادة والنمو.

هوامش:

(1) الدوري، عبد العزيز ، النظم الإسلامية- مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2008/م صفحة 17.

(2) م.س.ن- صفحة 18

(3) م.س.ن

(4) لوبون، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، دار البيروني للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1- ، 2014، صفحة 113



نتركم بحفظ الله

قال مخلد بن الحسيني : **ما ندب الله العباد إلى شيء إلاّ إعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلوّ فيه وإما تقصيرٌ عنه.**

سير السلف الصالحين 3/1048

قال الوزير إبن هيبرة: **الحق هو الشرع المشروع، فكل من غلا فيه فهو بمنزلة من قصّر عنه.**

الإفصاح عن معاني الصحاح 5/232

قال الحسن البصري رحمه الله: **دين الله وضع فوق التقصير ، ودون الغلوّ** .

الإعتصام 1/306

وقال وهب بن منبه: **إن لكل شيء طرفين ووسطاً، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط إعتدل الطرفان، قال : ثم عليكم بالأوساط من الأشياء .**

تأريخ إبن أبي خيثمة1/321

وقال مطرف بن عبد الله: **العلم أفضل من العمل والحسنة بين السيئتين وخير الأمور أوسطها .**

الإعتصام 2/164

وقال عمر بن إسحاق رحمه الله : **لمن أدركت من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم أكثرممن سبقني منهم، فما رأيت قوماً أيسر سيرة ولا أقل تشديداً منهم .**

الإعتصام 2/166

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾

دار الفتوى
صندوق الزكاة - البقاع

مشروع الأضاحي

صندوق الزكاة في البقاع على استعداد لاستقبال أضحيتكم
والإنابة عنكم في ذبحها وتوزيعها على مستحقيها

أضحيتك طاعة لربك



خروف بلدي



عجل برازيلي



خروف بيلا

شاركهم فرحة العيد.. أسعد فقيراً يُسعدك الله وأسرتك

Email: zakat_bekaa@yahoo.com Telfax: 08 / 622 662 Mobile: 03 / 65 87 11



اللغات التي تنشر بها: العربية والفرنسية والإنكليزية والإسبانية

عدد الإصدارات لتاريخه: أكثر من ٧٠٠٠ عنوان كتاب

عدد الإصدارات السنوية: أكثر من ٣٥٠ عنوان كتاب جديد

هاتف: 12 / 11 / 804810 5 961+ ـ فاكس: 804813 5 961+

ص.ب: 9424 ـ 11 بيروت ـ لبنان رياض الصلح ـ بيروت 2290 1107

e-mail: sales@al-ilmiyah.com ـ info@al-ilmiyah.com

www.al-ilmiyah.com

دار الكتب العلمية®

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت ـ لبنان

Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban